الإمامة

عند محيى الدين بن عربى

الدكتور

محيى الدين عبد الحميد طاهر

كلية الآداب - بنها

نسخة معدلة

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٩٩٠

اهــــــداء

الى ابنى ياســـر

أمامك المستقبل ، وامامك والدك ، فســر على الطريق والطريقة : للوصـــول الى الحق والحقيقة .

دكتــور
محى الدين عبد الحميد طاهر

مقـــــــدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فان موضوع هذا البحث : الإمامة عند محى الدين بن عربى ، دراسة فى الفلسفة السياسية ونظام الحكم[1] وهو موضوع على جانب كبير من الأهمية ؛ اذ أنه لم يلق العناية والدراسة من قبل الباحثين فى مجال التصوف الإسلامى؛ وكان ذلك من دوافع اختيارى لهذا الموضوع واهتمامى به ، رغم علمى المسبق بالصعوبات الكثيرة التى قد تحيط بى أثناء اعداد هذا البحث ، يحدونى الأمل والرغبة فى الكشف عن هذه الفكرة ، عند هذا الصوفى المتفلسف.

ولقد عرضت اولاً : لمعنى مصطلح الإمامة او الخلافة فى اللغة العربية ، وفى القرآن الكريم ، وعند ابن عربى .

وفى ثانياً : بينت أنواع الإمامة او الخلافة عند ابن عربى .

أما ثالثاً : فقد عكفت فيه على بيان ضرورة الإمامة أو الخلافة ، موضحاً وجوب نصب الإمام ، وواجبات هذا الإمام وحقوقه ، وهى الطاعة والاتباع من الرعية ، ثم وضحت واحدية الإمام ، وأنه لايجوز أن يقوم على أمر الأمة امامان فى وقت واحد.

ولقد عرضت فى رابعاً لشروط وصفات الإمام أو الخليفة وهى : البلوغ والعقل والحرية والذكورة والنسب القرشى ، وسلامة حاستى السمع والبصر ، والنجدة والكفاية والعلم ، كما أوضحت صفات الإمام أو الخليفة فيما يرى ابن عربى.

---

(1) راجع فى التعريف بهذا الصوفى المتفلسف الشهير ، اسين بلاسيوس ، ابن عربى ، حياته ومذاهبه ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، عام ١٩٧٩م ، وانظر ايضاً ، الكتاب التذكارى لمحيى الدين بن عربى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة عام ١٩٦٩م .

وفى خامساً : اوضحت ثبوت الخلافة ، وتحدثت فيه عن كيفية مبايعة الخليفة أو الأمام ، وكيف يحكم الإمام الناس ، ومكان الخلافة، ومتى يعزل الخليفة أو الإمام .

اما سادساً : قمت بإجراء مقارنة بين نظام الحكم فى الدولة ، والترتيب الهرمى ، الذى حدده ابن عربى لما يجب ان تكون عليه الوزارة ونظام الحكم ، بداية بالخليفة ، او الامام ونهاية بالقواد والأجناد .

ونظام الحكم داخل الإنسان ، بنفس ترتيب نظام الحكم فى الدولة، فالخليفة أو الإمام هو الروح الكلى ، ومدينته التى يحكمها هى جسم الإنسان ، والوزير هو العقل ، والفراسة هى علم الوزير ، والقاضى هو العدل ، وأما الكاتب فهو اليمين وغير ذلك من الموضوعات .

اما الخاتمة : فقد اوضحت فيها أهم النتائج التى توصلنا إليها فى هذا البحث.

ولقد اعتمدت فى هذا البحث على ايراد الكثير من النصوص التى تدور حول هذا الموضوع ؛ اذ أنها كانت المحور والأساس الذى بنيت عليه البناء الفلسفى لهذا البحث ؛ وان كان أسلوب هذه النصوص رمزيا ، يحوى الكثير من المعانى الباطنة التى لاتتضح للقارئ بسهولة .

وأنى لأرجو أن أكون قد وفقت فى تقديم هذه الفكرة فى صورة متكاملة ، يبرز خلالها آراء ابن عربى فى هذا الشأن ، والله الموفق، واليه يرجع الأمر كله ،

دكتور

محيى الدين عبد الحميد طاهر

أولاً

معنى مصطلح الإمامة والخلافة

اولاً

معنى مصطلح الإمامة والخلافة

رأينا أن نوضح فى هذا الفصل ، معنى مصطلح الامامة ثم الخلافة ، فى اللغة العربية ، وفى القرآن الكريم ، والمعانى التى اتخذها هـــذا المصطلح فى تطوره الفكرى التاريخى عند محيى الدين بن عربى ٠

(أ) معنى الامامة والخلافة فى اللغة العربية

الامام : الخليفة ، والعالم المقتدى به ، والامام أيضا : من يؤتم به فى الصلاة ، وائتم به : اقتدى به (١) ٠

والامامة بالكسر : امامة الصلاة ، والامام بالكسر : الرئيس والمرشد والقرآن واللوح المحفوظ (٢) ٠

والخليفة : يكون بمعنى فاعل ، وبمعنى مفعول : وأما الخليفة بمعنى السلطان الأعظم ، فيجوز أن يكون فاعلا ؛ لأنه خلف من قبله ، أى جاء بعده ، ويجوز أن يكون مفعولا ، لأن الله تعالى جعله خليفة ، أو لأن الله تعالى جاء به بعد غيره ، كما قال تعالى :

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » (٣) ٠

قال بعضهم : ولا يقال (خليفة الله) بالاضافة الا لآدم ، وداود ، لورود النص بذلك ، وقيل : يجوز ؛ لأن الله تعالى جعله خليفة ، كما جعله سلطانا (٤) ٠

---

(١) انظر المصباح المنير ، مادة أم ٠

(٢) انظر ، محمد على الفاروقى التهانوى ، كشاف اصطلاحات الفنون ، القاهرة، عام ١٩٧٢ ، مادة خلف ٠

(٣) سورة الأنعام آية ١٦٥ ٠

(٤) انظر المصباح المنير ، مادة خلف ٠

(ب) معنى الامامة والخلافة فى القرآن الكريم

لم يرد لفظ الامامة أو الخلافة فى القرآن ، وانما وردت الفاظ أخرى مثل امام ، وأئمة ، وأمة ، وخليفة ، وخلائف ، وغير ذلك :

١ - فكلمة أمة تأتى فى القرآن فى عدة آيات ، يقول تعالى :

« ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » (١)

ويقول تعالى أيضا « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » (٢)

ويقول كذلك « ولو شاء لجعلكم امة واحدة » (٣)

ويقول تعالى أيضا « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا » (٤) ، أى اماما وقـــدوة .

ويقول تعالى كذلك « وما من دابة فى الأرض ، ولا طائر يطيـر بجناحيه الا أمم أمثالكم » (٥)

٢ - وكلمة امام ، وائمة تاتى فى القرآن أيضا فى عدة آيات :

يقول تعالى « قال انى جاعلك للناس اماما » (٦)

ويقول أيضا « وكل شىء احصيناه فى امام مبين » (٧)

ويقول تعالى كذلك « ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين » (٨)

وأيضا « فقاتلوا ائمة الكفر » (٩)

---

(١) سورة البقرة اية ١٢٨ .
(٢) ورة البقرة اية ١٤٣ .
(٣) سورة المائدة آية ٤٨ .
(٤) سورة النحل اية ١٢٠ .
(٥) سورة الأنعام آية ٣٨ .
(٦) سورة البقرة اية ١٢٤ .
(٧) سورة يس آية ١٢ .
(٨) سورة القصص اية ٥ .
(٩) مورة التوبة اية ١٢ .

٣ ـ وكلمة خليفة ، وخلائف وغيرها ، ترد فى القران فى عدة آيـــات :

يقول تعالى « انى جاعل فى الأرض خليفة » (١)
ويقول أيضا « وهو الذى جعلم خلائف الأرض (٢)
ويقول كذلك « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (٣)
وايضا « ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم »(٤)

(جـ) معنى الامامة والخلافة عند ابن عربى

مصطلح الامامة والخلافة عند ابن عربى ، اتخذ مدلولا خاصـا ، **فيرى ابن عربى أن** « الامامة هى المنزلة التى يكون النازل فيها متبوعا ، وكلامه مســموعا » (٥)

واذا أراد الامام ان ينفذ أمرا من الأمور وعزم على تنفيذه ، فانه ينفذه فعلا ، كما أن حكمه فى أمته ورعيته لا يرد ، **فيقول** ابن عربى **فى هذا الشان « فاذا هم(أى الامام) امضى** ، ولا راد لما به قضى »(٦)٠

ويرى ابن عربى أن المتبوع ، هو الذى يصح له التقدم والسـبق ويورد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول :

(يؤم القوم أقراهم للقرآن ، فان كانوا فى القراءة سواء ، فاعلمهم، بالسنة ، فان كانوا فى السنة سواء ، فاقدمهم هجرة ، فان كانوا فى **الهجرة سواء ، فاكبرهم** سنا) ، فمن اجتمع فيه مثل هذه الخصال ،

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ ٠
(٢) سورة الأنعام آية ١٦٥ ٠
(٣) سورة الحديد آية ٧ ٠
(٤) سورة النور آية ٥٥ ٠
(٦) ابن عربى (محيى الدين) ، عنقاء مغرب ، القاهرة ، بدون تاريخ ،ص٥٧٠
(٥) عنقاء مغرب ، ص ٥٧ ٠

صح له التقدم ، ومن صح له التقدم كان متبوعا ، وكان أحق بالله من التابـــع) (١) .

وعلى الجملة ، فان ابن عربى يرى أن الأولى بالامامة أفضل الناس فى قراءة كتاب الله ، فاذا كانوا فى القراءة سواء ، فأعلمهم بالسنة ، ففرق النبى صلى الله عليه وسلم بين الفقيه والقارىء ، وأعطى الامامة للقارىء ، ما لم يتساويا فى القراءة ، فاذا تساويا فى القراءة ، لم يكن أحدهما أولى بالامامة من الآخر ، فوجب تقديم العالم ، الأعلم بالسنة ، يقول ابن عربى فى هذا الصدد :

« وكلام الله ، لا ينبغى أن يقدم عليه شىء أصلا بوجه من الوجوه، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، وهم الذين يقرأون حروفه ، من عجم وعرب ، وقد صحت لهم الأهلية ، والخصوصية ، فاذا انضاف الى ذلك ، المعرفة بمعانيه ، فهو فضل فى الأهلية والخصوصـــية ، لا مـــن القرآن ، بل من حيث العلم بمعانيه ، فاذا انضاف الى ذلك حفظه ، (٢) والعلم بمعانيه ، والعمل به ، فنور على نور ، على نور !! » .

ويعتقد ابن عربى أن الخليفة هو الذى يستخلفه الله تعالى على عباده ، أما الامام فهـــو الذى يقيمه الناس ويبايعونه ويقدمونـــه على أنفسهم ، يقول ابن عربى :

« لا يكون خليفة الا من استخلفه الله تعالى على عباده ، لا من أقامه الناس وبايعوه وقدموه لأنفسهم وعلى أنفسهم » (٣)

ويفرق ابن عربى بين الخلافة والرسالة ، فهو يرى أن الخلافة أخص من الرسالة ؛ لأنه ما كل رسول خليفة ؛ فان درجة الرسالة انما هى التبليغ خاصة ، يقول تعالى فى هذا الشأن :

---

(١) ابن عربى (محيى الدين) . الفتوحات المكية . الهيئة العامة للكتاب . القاهرة عام ١٩٨٧م . السفر الحادى عشر . ص ٢١٣ .

(٢) الفتوحات المكية ، السفر السادس ، ص ٤١٧ .

(٣) الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٢٧٢ .

« وما على الرسول الا البلاغ » (١) . فليس له التحكم فى المخالف ، انما له تشريع الحكم عن الله أو بما أمره الله ، فاذا أعطاه الله التحكم فيمن أرسل اليهم ، فذلك هو الاستخلاف والخلافة،والرسول الخليفة.(٢)

كما يرى ابن عربى أنه ما كل من أرسل حكم ، فاذا أعطى السيف ، وأمضى الفعل ، فحينئذ يكون له الكمال ، فيظهر بسلطان الأسماء الالهية ، فيعطى ويمنع ، ويعز ويذل ، ويحيى ويميت ، ويضر وينفع ، فان ظهر بالتحكم من غيره نبوة ، فهو ملك وليس بخليفة (٣) .

ويستعمل ابن عربى ، عادة ، كلمة الخليفة ؛ للدلالة على الانسان الكامل ، الذى يظهر فى أعلى درجاته فى صور الأنبياء والرسل والأولياء، وكل من هؤلاء خليفة الله ، بمعنى أنه الصورة الجامعة الممثلة للكمال الالهى فى عالم الظاهر (٤)

فالخليفة أو الامام فيما يرى ابن عربى هو الانسان الكامل ، وهو عبارة عن كل ما سوى الله ، وهو البيت المعمور بالحق لما وسعه ، يقول تعالى فى الحديث المروى (ما وسعنى أرضى ولا سمائى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن) ، فكانت مرتبة الانسان الكامل ، من حيث هو (أى الانسان الكامل) قلب بين الله والعالم . (٥)

فكل ما سوى الله ، يسجد له ويسبح بحمده ، يقول تعالى :

« وان من شىء الا يسبح بحمده » (٦) . ووصف الكل بالسجود ، وما جعل لواحد منهم أمرا فى العالم ولا نهيا ولا خلافة ، وجعل ذلك للانسان الكامل ، يقول ابن عربى فى هذا الشأن :

---

(١) سورة المائدة آية ٩٩ ، وسورة العنكبوت آية ١٨ .

(٢) الفتوحات المكية المجلد الثانى ، ص ٢٧٢ .

(٣) الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص٢٧٢ .

(٤) أبو العلا عفيفى (الأستاذ الدكتور) . فصوص الحكم والتعليقات عليه دار احياء الكتب العربية الكبرى . عيسى البابى الحلبى القاهرة عام ١٩٤٦ ، حـ ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٥) الفتوحات المكية ، حـ٣ ، ص ٢٩٥ .

(٦) سورة الاسراء آية ٤٤ .

« من أراد أن يعرف كما له فلينظر فى نفسه ، فى أمره ونهيه ، وتكوينه بلا واسطة لسان ولا جارحة ولا مخلوق غيره ، فان صح له المعنى فى ذلك ، فهو على بينة من ربه فى كماله » (١) .

ويفرق ابن عربى بين الانسان والحيوان ، وبين الانسان الحيوانى، والانسان الكامل ، فهو يرى أن الانسان يعلم انه ما استنبط أمرا من الأمور ، الا عن فكر ، وروية وتدبير ، فيعرف من أين صدر هذا الأمر ، وسائر الحيوان يعلم الأمر ، ولا يعلم من أين صدر . أما الانسان الكامل ، فانه يزيد عن الانسان الحيوانى - فى الدنيا - بتصريف الأسماء الالهية . (٢)

فكل ما هو انسان كامل ، خليفة عن مستخلف واحد (هو الله تعالى) وهم ظلال للأنوار الالهية التى تقابل الانسان الأصلى ، وتلك الأنوار تتحلى وتختلف عليه (أى على الانسان الكامل) من كل جانب، فيظهر له ظلالات متعددة على قدر أعداد التجلى ، فلكل تجل نور يعطى ظلا من صورة الانسان فى الوجود العنصرى ، فيكون ذلك الظل خليفة ، ويوجد عنه الخلفاء . (٣)

ويتابع ابن عربى مقارنته بين الانسان الكامل والانسان الحيوانى ، بقوله ، ان الله تعالى يقول :

« يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك » (٤) ، فهذا كمال النشأة الانسانية العنصرية الطبيعية ، ثم قال بعد ذلك « فى أى صورة ما شاء ركبك » ، ان شاء فى صورة الكمال،

---

(١) الفتوحات المكية ، حـ ٣ ، ص ٢٩٥ .

(٢) الفتوحات المكية ، حـ ٣ ، ص ٢٩٧ .

(٣) راجع الفتوحات المكية ، حـ ٣ ، ص ٢٩٧ ، وابن عربى يرى أن الانسان الحيوانى ، حكمه حكم سائر الحيوان ، الا أنه يتميز عنه غيره من الحيوان بالفصل المقوم له ، فاذا كمل فهو الخليفة .

(٤) سورة الانفطار آية ٦ .

فيجعلك خليفة عنه فى العالم ، أو فى صورة الحيوان فتكون من جملة الحيـــوان » (١) ٠

والله تعالى قد أعطى الانسان الكامل حكم الخلافة واسم الخليفة ، ولم يقل فيه أنه نائب ، وان كان المعنى عينه ، ولكن قال :

« انى جاعل فى الأرض خليفة » وما قال انسانا أو داعيا ، وانما ذكره وسماه بما أوجده له ، على حد قول ابن عربى ٠ (٢)

ويستعمل ابن عربى كلمة « الانسان الكامل » فى معنى فلسفى خاص ، اذ الكمال عنده ، الوجود بأوسع معانيه ، والكامل هو ما تحققت فيه معانى الوجود وصفاته ، سواء كانت خيرا أو شرا - أو كما يقول هو : كمال الشىء متوقف على عدد الصفات الالهية التى تتجلى فيه ، أو فى استطاعته أن تتجلى فيه ٠ ويتبين من هذا أنه لا يستعمل الكلمة فى معناها الأخلاقى مطلقا ٠(٣)

ويذهب ابن عربى الى أن الانسان هو الكلى على الاطلاق والحقيقة؛ اذ هو القابل لجميع الموجودات قديمها وحديثها ، كما يرى أن الانسان ذو نسبتين كاملتين ، نسبة يدخل بها الى الحضرة الالهية ، ونسبة يدخل بها الى الحضرة الكيانية ، فيقال فيه عبد ؛ من حيث أنه مكلف ولم يكن ثم كان كالعالم ، ويقال فيه رب ؛ من حيث أنه خليفة ومن حيث الصورة، ومن حيث أحسن تقويم ، فكأنه برزخ بين العالم والحق ، وجامع لخلق وحق ، وهو الخط الفاصل بين الحضرة الالهية والكونية ، كالخط الفاصل بين الظل والشمس ، وهذه هى حقيقته ، فله الكمال المطلق فى الحدوث والقدم ، والحق له الكمال المطلق فى القدم ٠ (٤)

ويقـــرر ابن عربى أن الله قد قضى بســبق علمه أن يجعله (أى

---

(١) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٢٩٧ ٠

(٢) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٢٩٧ ٠

(٣) أبو العلا عفيفى (الدكتور) نظريات الاسلاميين فى الكلمة ، مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة ، المجلد الثانى ، الجزء الاول ، عام ١٩٣٤م ، ص ٥٧ ٠

(٤) محيى الدين بن عربى ، انشاء الدوائر ، مطبعة بريل ، ليدن، ١٣٣٦هـ، ص٢١٠

الانسان) فى أرضه خليفة . نائبا عنه فيها ، فجعله نسخة من العالم كله ، فما من حقيقة فى العالم الا وهى فى الانسان ، فهو الكلمة الجامعة ، وهو المختصر الشريف ، وجعل الحقائق الالهية التى توجهت على ايجاد العالم بأسره ، توجهت على ايجاد هذه النشأة الانسانية الامامية . (١)

ويذهب ابن عربى الى أنه لما تعدد الكمل من هذه النشأة (الانسانية) ، جعلهم الحق خلائف ، بعد ما كان خليفة ، فكل كامل خليفة ، وما يخلو زمان عن كامل اصلا ، فما يخلو عن خليفة وامام ، فلا تخلو الأرض عن ظهور صورة الهية ، يعرفها جميع خلق الله . (٢)

واضح مما سبق مذهب وحدة الوجود ، فى نظرية ابن عربى فى الانسان الكامل ، ويرى الدكتور أبو العلا عفيفى أن فكرة الوجود عند ابن عربى سابقة على التجربة الصوفية لا العكس ، بمعنى أن الوحدة ليست شيئا يحصل فى التجربة ، أو أن القول بوحدة الحق والخلق ، شىء يستنتج من التجربة ، بل ان العكس هو الصحيح ، وهو أن التجربة الصوفية يمكن استنتاج امكانها من فكرة - أو قضية - وحدة الوجود .(٣)

وابن عربى هنا ، كان اقرب الى الرواقيين فى نظريته فى الانسان الكامل ، فما سموه هم بالعقل الظاهر أو العقل بالفعل ، هو بعينه ما سماه « بالانسان الكامل » ؛ لأن العقل الباطن السارى فى جميع أنحاء الكون ، الذى سماه ابن عربى تارة بحقيقة الحقائق ، وطورا بالحقيقة المحمدية ، لا يظهر فى جميع المخلوقات بدرجة واحدة ، وليس فى الوجود ما هو مظهر له فى أعلى درجاته سوى « الانسان الكامل » ، الذى استحق من أجل كماله الوجودى أن يسمى بالخليفة ، وبالصورة ، وبالكون الجامع ، وبالمرآة التى تنعكس عليها كمالات الحق وصفاته .(٤)

---

(١) عقلة المستوفز ، ص ٩٤ .

(٢) عقلة المستوفز ، ص ٩٧ .

(٣) أبو العلا عفيفى (الاستاذ الدكتور) ، التصوف ، الثورة الروحية فى الاسلام دار المعارف ، القاهرة عام ١٩٦٣ ، ص ٢٠٠ .

(٤) نظريات الاسلاميين فى الكلمة ، ص ٥٨ .

وقد تاثر عبد الكريم الجيلى بابن عربى فى نظريته فى الانسان الكامل ، فالمراد عند الجيلى بالانسان الكامل ، ليس مجرد الصورة الانسانية ، أو ما يسميه ابن عربى « بالانسان الحيوانى » ، بل الانسان من حيث ما هو انسان ، أى الانسان الناطق ، الظاهر فى أكمل صورة فى الأنبياء والأولياء ، يقول الجيلى :

« ان أفراد هذا النوع انسانى ، كل واحد منهم نسخة للآخر بكماله ، لا يفقد فى أحد منهم مما فى الآخر شيء الا بحسب العارض ، كمن تقطع يداه ورجلاه ، أو يخلق اعمى لما عرض له فى بطن أمه ، ومتى لم يحصل العارض فهم كمرآتين متقابلتين ، يوجد فى كل واحدة منهما ما يوجد فى الأخرى ، ولكن منهم من تكون الأشياء فيه بالقوة ، ومنهم من تكون فيه بالفعل وهم الكمل من الأنبياء والأولياء » . (١)

ويرى ابن عربى أن الخلافة ليست قصرا على داود عليه السلام ، بل ان كل انسان خليفة لله فى أرضه ، من حيث ان الله تعالى خلق الانسان على صورته ، وجعله ممثلا له فى اظهار جميع كمالاته الوجودية وهى صفة لا توجد لغير الانسان من المخلوقات ، أما الفرق الحقيقى بين داود وغيره من الخلفاء ، فهو النص الصريح على خلافته ، وعدم مثل ذلك النص فى خلافة الآخرين ، قال تعالى : « ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق » ، وقال فى حق آدم « اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » ، ولم ينص على أنه آدم . (٢)

وقد وجد هانز هينرش شيدر ، أن (انسان) ابن عربى قد حذد على أساس أنه ماهية كلية تنطوى فى وعيها ، على كل ما هو الهى قديم، وكل ما هو مخلوق حادث حقا ، وهو اذن كامل من كلتا الناحيتين (اللهوتية والناسوتية) ، حتى ان الله والانسان والعالم ، كلها ، فى جوهرها ومضمونها شيء واحد تماما ، انها ليست الا ثلاثة مظاهر لفكرة

---

(١) عبد الكريم الجيلى ، الانسان الكامل فى معرفة الاواخر والاوائل ، مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة ، عام ١٩٦٣م ، حـ٢ ، ص ٤٤ .

(٢) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ٢ ، ص ٢٢١ .

أو معنى واحد ، على هذا الأساس ، خصوصا وهو أن الانسان هو حلقة الوصل المتوسطة بين الله والعالم والانسان ، مفهوما على هذا النحو ، بمثابة (خليفة) عن الله ، فيه تتجلى الألوهية ، أو يستمر تجليه خلال العصور . (١)

والواصلون الى مرحلة الانسان الكامل ، هم الواصلون الى « القطبية » ، كما يقول نيكلسون ، ورويسبروك ، واندرهل ، وهى المرحلة التى يكون فيها الانسان مركز الوجود الروحى (٢) .

ومرحلة وصول الانسان الى أعلى درجات الكمال ، هى تلك التى يصبح فيها الانسان ، الهيا أو كونيا ، . (٣)

ويفرق ابن عربى تفرقة هامة بين من يسميهم (الخلفاء عن الله) ، ومن يسميهم (الخلفاء عن الرسل) : ويقصر الوصف الأول ، ـ الخلفاء عن الله ـ على كل نبى لا يأخذ علمه بالشرع الا عن الله مباشرة ، كما يصف ـ بالوصف الثانى ـ الخلفاء عن الرسل ـ كل نبى أو ولى يأخذ علمه بالشرع عن رسول صاحب شريعة . ويسمى ابن عربى خلافة الصنف الأول (خلافة التشريع) ، كما يسمى خلافة الصنف الثانى (الخلافة العامة) . (٤)

ويضرب ابن عربى أمثلة لكل نوع من أنواع الخلافة ، فالنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، (خليفة عن الله) ؛ من حيث أنه أخذ شريعته عن الله ، ولكنه فى الوقت نفسه (خليفة عن الرسل) الذين سبقوه ؛ من حيث أخذه عنهم بعض قوانين شرائعهم . أى أنه يجمع بين الخلافة

---

(١) هانز هيزش شيدر ، نظرية الانسان الكامل عند المسلمين ، الصور الكلاسيكية لنظرية الانسان الكامل عند ابن عربى ، بحث منشور فى : الانسان الكامل فى الاسلام ، للدكتور عبد الرحمن بدوى ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، عام ١٩٧٦ ، ص ٦٢ .

2. Underhil (E.) : Introduction to Mysticism, London, 1950, p. 522.
3. Nicholson (R.A.) : The Mystics of Islam, London, 1914, p. 164.

(٤) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ٢ ، ص ٢٢١ .

العامة وخلافة التشريع ٠ أما عيسى عليه السلام ، فسيكون خليفة محمد ، عندما ينزل الى الأرض ويحكم بين الناس بشريعة الاسلام ، وكذلك الحال فى كل من أتى بعد محمد عليه السلام وحكم بشرعه ٠ (١)

ولكل من الخلافتين نهاية ، تنتهى عندها فيما يرى ابن عربى ، فخلافة التشريع : قد انتهت بخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، أما الخلافة العامة ، التى يسميها ابن عربى أحيانا بالنبوة العامة ، فتنتهى (بخاتم الأولياء) ٠ (٢)

وعلى الجملة ، فان الخلافة العامة ، أصبحت بعد موت محمد عليه السلام ، تراثا خاصا ، يرثه أولياء المسلمين عن نبيهم الذى يتبعونه، فيما وضع لهم من قوانين شرعه ، والذين يجتهدون فى مسائل الشرع الأخرى التى لم يات فيها النبى بتشريع صريح ، وهؤلاء هم الورثة الروحيون للنبى ، ولهم الآن دون غيرهم الخلافة العامة ، وهذا هو السر فى ان ابن عربى يتعرض فى هذا الفصل لمسألة الاجتهاد ، ويعتبرها مظهرا خارجيا من مظاهر الخلافة الاسلامية ٠ (٣) ، يقول ابن عربى حول هذا المعنى « وأما الخلافة اليوم فعن الرسل ، لا عن الله ، فانهم ما يحكمون الا بما شرع لهم الرسول ، لا يخرجون عن ذلك ، والخليفة عن الرسول ، من يأخذ الحكم بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم ، أو بالاجتهاد الذى أصله أيضا منقول عنه » ٠

ويظهر مما تقدم أن ابن عربى يقصد بالخلافة العامة أو الخلافة عن الرسول صلى اللى عليه وسلم ، الامامة ، فهو يرى أن الله تعالى نص على خلافة داود فقال : « ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض ،

---

(١) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ٢ ، ص ٢٢١ ٠

(٢) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ٢ ، ص ٢٢١ ، وراجع فيما يختص بخاتم الاولياء ، كتاب الولاية عند محيى الدين بن عربى ، وهو بحث لنا ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة عام ١٩٩٠م ، ص ٥٩ ٠

(٣) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ ٢ ، ص ٢٢١ ، وراجع فصوص الحكم (فص حكمة وجودية فى كلمة داودية) ، حـ ١ ، ص ١٦٦ ٠

فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى » (١) ، أى ما يخطر لك فى حكمك من غير وحى منى ، « فيضلك عن سبيل الله » ، أى عن الطريق الذى أوحى بها الى رسلى . (٢)

وليس كذلك ابراهيم الخليل - عليه السلام - فان الله تعالى لم ينص على خلافته وانما نص على امامته ، فقال تعالى فى حقه :

« انى جاعلك للناس اماما » (٣) ، ولم يقل (خليفة) ، وان كنا نعلم أن الامامة هنا خلافة ، وذلك فيما يقول ابن عربى . (٤) ويتضح مما تقدم أن فى داود من الاختصاص بالخلافة أن جعله الله تعالى (خليفة حكم) ، وليس ذلك الا عن الله ، فقال له :

« فاحكم بين الناس بالحق » ، أما خلافة آدم ، قد لا تكون من هذه المرتبة ، فتكون خلافته أن يخلف من كان فيها قبل ذلك ، لا أنه نائب عن الله فى خلقه ، بالحكم الالهى فيهم . (٥)

وكذلك أخذ الخليفة عن الله ، عين ما أخذه منه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فنقول فيه بلسان الكشف « خليفة الله » ، وبلسان الظاهر « خليفة رسول الله » (٦) .

ويبرهن ابن عربى على ما سبق بقوله : « ولهذا مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نص بخلافة عنه الى أحد ، ولا عينه ؛ لعلمه أن فى أمته من يأخذ الخلافة عن ربه فيكون خليفة عن الله ، مع الموافقة فى الحكم المشروع ؛ فلما علم ذلك صلى الله عليه وسلم ، لم يحجر الأمر » (٧) .

---

(١) سورة ص آية ٢٦ .
(٢) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ١ ، ص ١٦١ .
(٣) سورة البقرة آية ١٢٤ .
(٤) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ١ ، ص ١٦١ .
(٥) فصوص الحكم ، حـ ١ ، ص ١٦١ .
(٦) فصوص الحكم ، حـ ١ ، ص ١٦١ .
(٧) فصوص الحكم ، حـ١ ، ص١٦١ ، ويقصد ابن عربى هنا بالأمر ، أمر الخلافة .

ومن هنا نعلم أن أن كل حكم ينفذ اليوم فى العالم ، هو حكم الله عز وجل ؛ وان خالف الحكم المقرر فى الظاهر المسمى (شرعا) ؛ لأن الأمر الواقع فى العالم أنما هو على حكم المشيئة الالهية لا على حكم « الشرع » المقرر ، على حد قول أبن عربى » (١) .

ويرى ابن عربى أن الله تعالى لم يخلق العالم الا على مثال الانسان الكامل ، وأن الله ما خص أحدا بالخلافة الا لهذا الانسان الكامل ، فهو يقول :

« ما خلق الله العالم ، الخارج عن الانسان ، الا ضرب مثال للانسان ؛ ليعلم أن كل ما ظهر فى العالم هو فيه ، والانسان هو العين المقصودة ، فهو مجموع الحكم ، ومن أجله خلقت الجنة والنار ، والدنيا والآخرة ، والأحوال كلها ، والكيفيات ، وفيه ظهر مجموع الأسماء الالهية وآثارها ، فهو المنعم والمعذب ، والمرحوم والمعاقب ، ثم جعل له أن يعذب وينعم ، ويرحم ويعاقب ، وهو المكلف المختار ، المجبور فى اختياره ، وله يتجلى الحق بالحكم والقضاء والفصل ، وعليه مدار العالم كله ، علوا وسفلا ، دنيا وآخرة » (٢) .

ويعقب الدكتور أبو العلا عفيفى على الحديث الذى أورده ابن عربى (اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) بقوله :

للخلافة نوعان ، خلافة روحية أو باطنة ، وخلافة حكم أو ظاهرة ، وكلا الخلافتين فيه تمثيل لله ونيابة عنه فى الأرض ، ولا تختلفان الا فى أن الخليفة الباطن يستمد علمه من الله مباشرة ، فى حين أن الخليفة الظاهر ليس الا تابعا للرسول ، يستمد علمه منه ، والأول هو خليفة الله على الحقيقة ، أما الثانى فهو خليفة الله ، من حيث هو خليفة رسول الله . (٣)

---

(١) فصوص الحكم ، حـ١ ، ص ١٦٤ .

(٢) فصوص الحكم ، حـ١ ، ص ١٦٤ .

(٣) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ٢ ، ص ٢٢٦ .

كما يرى الدكتور عفيفى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر شيئا عن عدد الخلفاء الباطنيين ، فقد يوجد منهم فى الزمان الواحد ، واحد أو أكثر من واحد ، ولو أن بعض الشراح مثل القاشانى والقيصرى، قد قرروا استحالة وجود أكثر من خليفة باطنى ، هو الذى يسمونه بالقطب ٠ (١)

ويرى ابن عربى أن الله تعالى يقيم نوابا عنه ، فيكونون خلفاء الخليفة من عند الله ، لا لأنهم فى منزلة الرسل خلفاء من عند الله ، وهم الأقطاب وأمراء المؤمنين الى يوم القيامة » ٠ (٢)

وهؤلاء النواب ، منهم من يكشف الله عنه الغطاء ، فيكون من أهل الكشف والشهود ، فيدعوا الى الله على بصيرة ، كما دعا للرسول عليه السلام ، على حد قول ابن عربى (٣) ٠

وهؤلاء النواب فيما يرى ابن عربى هم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان دعوا الى الله بصيرة كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ورد فى القرآن العزيز عنه فى قوله :

(ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى) (٤) ٠ وسمى هؤلاء النواب الذين هم أتباع الرسول بالورثة ٠ (٥)

ويعتقد ابن عربى أن التوقيعات الالهية (٦) ، مازالت تنزل من

---

(١) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ٢ ،ص٢٦، وانظر عن القطب ،كتاب الولاية عند محيى الدين بن عربى ، ص ٤١ ، وانظر أيضا ، محيى الدين بن عربى ، التنزلات الليلية ، القاهرة عام ١٩٨٧ م ، ص ٦٣ ٠

(٢) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ٢ ، ص ٢٢٦ ٠

(٣) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ٢ ، ص ٢٢٦ ٠

(٤) سورة يوسف آية ١٠٨ ٠

(٥) راجع فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ٢ ، ص ٢٢٦ ٠
وراجع أيضا فيما يختص بالورثة ، الفتوحات المكية ، المجلد الرابع ،ص ٣١٦ ٠

(٦) التوقيعات الالهية هى : الخواطر الالهية ، انظر ، الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٥٦٣ ٠

الله على خلفائه بما يعدهم الله به من آمن بالله ورسله من الخير ، وما توعد به لمن كفر به من الشر ، مدة اقامة ذلك الخليفة ، المنزل عليه ، وهو الرسول ، الى حين موته ، فمن زمان خلافته الى انتهاء مدة عمره ، لاتزال التوقيعات الالهية تنزل عليه ، فاذا مات ، واستخلفه من شاء ، يوحى من الله له فى ذلك ، أو ترك أمر الشورى بين أصحابه ، فيولون من يجمعون عليه الى أن يبعث الله من عنده رسولا ، فيقيم فيهم خليفة آخر ٠ (١)

ويذكر ابن عربى أن الله تعالى ، لما شاء أن يجعل فى أرضه خلفاء على من يعمرها من الانس والجان وجميع الحيوانات ، وقدمهم ورشحهم للامامة دون غيرهم من جنسهم ، جعل بينه وبينهم سفيرا ، وهو (الروح الأمين) ٠ ، وسخر لهم ما فى السموات ، من فلك ، وكوكب سابح فى فلك ، وما فى الأرض ، وما بينهما من الخلق جميعا منه ، وأباح لهم جميع ما فى الأرض أن يتصرفوا فيه ، وأيد هؤلاء الخلفاء بالآيات البينات ؛ ليعلم المرسلون اليهم أن هؤلاء خلفاء عليهم ، ومكنهم من الحكم فى رعيتهم بالأسماء الالهية على وجه يسمى « التعلق ، وشرع لهم فى نفوسهم شرائع ، وحدد لهم حدودا ، ورسم لهم مراسم يقفون عندها يختصون بها ، لا يجوز لأحد من رعاياهم أن يتخذوها لأنفسهم شرائع ، ولا يقتدون بهم فيها ، ثم نصب لهم شرائع يعملون بها ، هم ورعيتهم ٠ (٢)

---

(١) الفتوحات المكية ، المجلد الرابع ، ص ٣٦ ٠

(٢) الفتوحات المكية ، المجلد الرابع ، ص ٣٦ ٠

ثانياً

أنواع الإمامة أو الخلافة

ثانياً

أنواع الإمامة أو الخلافة

يرى ابن عربى أن الامامة أو الخلافة ، كبرى وأكبر ، وصغرى واصـــغر :

١ ـ فالامامة أو الخلافة الأكبر ، هى الامامة على العالم ·

٢ ـ والامامة أو الخلافة الأصغر ، هى امامة الانسان على نفسه وجوارحـــه ·

٣ ـ وهناك امامة بين النوعين السابقين ، وهى امامة الانسان على أهله وأولاده وتلاميذه ، وهى تعتبر صغرى بالنسبة الى الامامة الأكبر ، ويطلق عليها أيضا كبرى بالنسبة الى الامامة الأصغر · ويعتقد ابن عربى كذلك أن الامامة عمت جميع الناس ، فهو يقول :

« الخلافة صغرى وكبرى ، فاكبرها التى لا اكبر منها ، الامامة الكبرى على العالم ، واصغرها خلافته على نفسه (أى الانسان) ، وما بينهما ينطلق عليها صغرى بالنسبة الى ما فوقها ، وهى بعينها كبرى الى ما تحتها » · (١)

ويقول ابن عربى فى هذا الصدد :

« من شق على رعيته ، سعى فى هلاك ملكه ، هذه وصية الهية لعباده ؛ لما خلقهم على صورته ، واعطى من أعطى منهم الامامة الكبرى، والصغرى ، وما بينهما ، وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع ومسئول عن رعيته) (٢) ، فاعلى الرعاة الامامة الكبرى ، وأدناها امامة الانسان على جوارحه ، وما بينهما ممن له الامامة على أهله وولده

---

(١) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٤٠٨ ·

(٢) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٤٠٨ ·

وتلاميذه ومماليكه ، فما من انسان الا وهو مخلوق على الصورة ؛ لهذا عمت الامامة جميع الناس » . (١)

ويقول كذلك في هذا الشأن ، فى كتابه عنقاء مغرب :

« وقد اثبتها سبحانه (أى : الامامة) كبرى وأكبر ، وصغرى وأصغر » (٢) .

ويضرب ابن عربى أمثلة لأنواع من الأئمة فى العالم ، ،

١ - فامام الأئمة كلها (وهو الله تعالى) هاديها ، قال تعالى : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » ، وهو أيضا مضلها ، والله لا ينازعه فى امامته الكبرى منازع ، قال تعالى « قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » ، فقد قرن الله سبحانه وتعالى الفساد بالاشتراك ، وقال الله تعالى ، ان بها يقع الهلاك » . (٣)

٢ - وامام الصلاة امام فى الصلاة فقط ، وليست امامته عامة ، ويجب عليه المحافظة على أركان الصلاة ، يقول ابن عربى فى هذا الصدد : « وأما امام الصلاة ، فليست امامته مطلقة ، وانما هو امام فيها لا غير ، والواجب عليه الاقامة على حفظ أركانها ومبانيها ، قال صلى الله عليه وسلم (انما جعل الامام ليؤتم به ، فاذا ركع فاركعوا ، أى : لا تسبقوه ولا ترفعوا رءوسكم قبله ، ومن رفع رأسه قبل الامام من سجوده ، فناصيته بيد الشيطان » (٤) .

٣ - وكذلك القاضى ، فانه امام فيما نصب اليه من أمر الأحكام الشرعية ، وتنفيذ القضايا ، والحكم بالعدل بين الناس (٥) .

---

(١) الفتوحات المكية . المجلد الثالث ، ص ٤٠٨ .
(٢) عنقاء مغرب ، ص ٥٧ .
(٣) راجع ، عنقاء مغرب . ص ٥٨ .
(٤) عنقاء مغرب ، ص ٥٨ ، ٥٩ .
(٥) عنقاء مغرب ، ص ٥٩ .

٤ ـ والقائد ، امام فيما قدم عليه من قيـادة الجنود ، وارهاب الأعـــداء ٠ (١)

٥ ـ وكل انسان امام فى بيته ، وكذلك فى بنيته ، أى فى بيته على زوجته وأولاده ومن يرعاهم ، وكذلك امام على جوارحه وأعضاء جســـمه (٢) ٠

٦ ـ والامام الأكبر ، وهو امام هذه المملكة الانسانية ، وهو المتبع ، الذى له النهاية ؛ لأنه الامام الأعظم ، الآمر الناهى ، واليه المرتجع فى تنفيذ الأمور على الوجه الصحيح ، وتنعقد عليه فى ذلك أمور الأمة أجمــــع ٠ (٣)

ويرى ابن عربى أن كل امام من الائمة فى هذه المملكة الانسانية لا يخالف فى امامته ، وأن كل امام تحت أمر هذا الامام الأكبر ، فهم فى قهره ، كما ان هذا الامام الأكبر تحت قهر القاهر ، وهو الله تعالى ، يقول تعالى : (وهو القاهر فوق عباده) (٤) ٠ وهذا الامام الأكبـــر فى هذه المملكة الانسانية ، يأخذ الأمر والنهى من الحق تعالى ، وهو الذى يعطى رعيته بحق (٥) ٠

وينصح ابن عربى الرعية أن ينصروا الامام الأكبر ، بقوله :
« فلا تخذلوه ، وانصروه ، ووقروه ، وعزروه ، فانه ولى هذه المنزلة الشريفة » ٠ (٦)

ويذهب ابن عربى الى أن فى الانسان ائمة يؤتم بهم ، وهم : الروح الفكرى ، وهى ملكة التفكير ، والروح العقلى ، وهى ملكة النطق والتعقل ، والروح المصور ، وهى ملكة التصور ، والروح الخيالى وهى

---

(١) عنقاء مغرب ، ص ٥٩ ٠
(٢) راجع عنقاء مغرب ، ص ٥٩ ٠
(٣) راجع عنقاء مغرب ، ص ٥٩ ٠
(٤) سورة الأنعام آية ١٨ ، ٦١ ٠
(٥) راجع عنقاء مغرب ، ص ٥٩ ٠
(٦) راجع عنقاء مغرب ، ص ٥٩ ٠

ملكة الخيال ، والروح الوهمى ، وهى ملكة التوهم فى الانسان ، وكذلك الحواس الخمسة أئمــة ٠ (١)

وكل امام من هؤلاء الأئمة ، له أمة تحت قهره وفى حكمه ، وهو امامها ، والامام الأكبر لهؤلاء الأئمة هو النور الأزهر ، وهو المقدم عليهم، وهو (الروح القدسى) ٠ (٢)

ويعتقد ابن عربى أن الروح القدسى هو القلب اذا كان صالحــا ومنزه عن الرذائــل ، أما ان كان غير ذلك فيكون شــيطانا يحث على ارتكاب المعاصى ٠ (٣)

ويتصور ابن عربى أن الجماد والحيوان والنبات ، أمم ، ولهــا أئمة من جنسها ، ويستدل على ذلك بقوله تعالى : (ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) (٤) ٠ وهذه الأمم تسبح لله تعالى ، أمام الأئمة ، ولكننا لا نفقه تسبيحهم ، واستمع الى ابن عربى حيث يقول فى هذا الشأن : « كل أمة فى افقها ناطقة ، وهى فى أوجها عاشقة ، فليس فى الوجود جماد ولا حيــوان الا ناطق بلسان ، لســان ذات ، لا لسان حال ، والقائل بخلاف هذا قائل محال » (٥) ٠

ويرى ابن عربى أن الملامية (أو الملامتية) ، هم سادات أهل طريق الله وأئمتهم ، وسيد العالم فيهم ومنهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الحكماء الذين وضعوا الأمور مواضعها وأحكموها ، وأقروا الأسباب فى أماكنها ، ونفوها فى المواضع التى ينبغى أن تنفى عنها ٠ (٦)

وابن عربى يتوسع فى معنى الملامتى الى حد اطلاقه على النبى

---

(١) راجع عنقاء مغرب ، ص ٢١ ٠
(٢) عنقاء مغرب ، ص ٢٣ ٠
(٣) عنقاء مغرب ، ص ٤٥٠
(٤) عنقاء مغرب ، ص ٣٦ ٠
(٥) راجع ، عنقاء مغرب ، ص ٢٤ ٠
(٦) انظر ، الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٢١ ٠

صلى الله عليه وسلم ، بدعوى أن مقام الملامتية هو مقام القرب من الله ، وهو مقام (ثم دنى فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى) (١) ، أما الصفات التى اختص بها الملامتية ، كما يفهمهم ابن عربى ، فهى أنهم رجال لا يتميزون عن سائر المؤمنين المؤدين فرائض الله بحالة زائدة يعرفون بها ، فهم لا يزيدون على الصلوات الخمس الا بالرواتب ؛ يمشون فى الأسواق ، ويتكلمون مع الناس ؛ يؤدون الفرائض مع الخلق ، ويدخلون فى كل بلد ، بزى أهل ذلك البلد ، لا يتوطن أحد منهم فى المسجد ، وتختلف اماكنهم فى المسجد الذى تقام فيه الجمعة ؛ حتى يضيعوا فى غمار الناس ، واذا تكلموا ، راقبوا الله فى كلامهم ، يقللون من مجالسة الناس ، الا من جيرانهم ، حتى لا يشعر أحد بهم ٠ (٢)

ويرى الدكتور ابو العلا عفيفى أن هذا وصف لا يختلف عن وصف السلمى للملامتية ، مما يرجح أن ابن عربى اخذ مادته منه ، وان كان ابن عربى - كعادته - يتخذ من الملامتية شيعة لمذهبه فى وحدة الوجود ، ومن الواضح انه خالف كل من سواه فى فهمه لمعنى (الملامتى) ، حيث فهم الملامة على انها مقام من مقامات الصوفية ، بل اعتبرها أعلى المقامات ، كما اعتبر الملامتية اكابر أهل الله الذين حلوا من الولاية فى اقصى درجاتها ، وما فوقهم الا درجة النبوة ٠ (٣)

---

(١) سورة النجم آية ٩ ٠

(٢) راجع الفتوحات المكية ، المجلد الاول ، ص ٢٣٦ ٠

(٣) أبو العلا عفيفى (الاستاذ الدكتور) ، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة عام ١٩٤٥م ، ص ٢١ ٠

ثالثاً

ضرورة الإمامة أو الخلافة

(الإمامة عند محيى الدين)

ثالثاً

ضرورة الإمامة أو الخلافة

يرى ابن عربى أن الامامة ضرورة أساسية ، فكل ملك لا يكون فيه امام متبع لأمره ونهيه ، فعما قريب يتخرب ذلك الملك ويتغلب عليه الأعداء ويتصدع ؛ ولهذا توفرت دواعى كل الأمم الى اتخاذ الأئمة ، وهكذا جرت الحكمة الالهية والنشأة الربانية الى سائر الأمم ، فى اتخاذ الأئمة ، فقال الله الحكيم الخبير فى كتابه العزيز :

« وان من أمة الا خلا فيها نذير » . (١)

فانت ترى من كلام ابن عربى عن ضرورة الامامة ، أنها تقوم على أطراف ثلاثة هى :

اولا : وجوب نصب الامام ، وواجباته .
ثانيا : حقوق الامام : الطاعة والاتباع من الرعية .
ثالثا : واحدية الامام .

اولا : وجوب نصب الامام ووجباته

يعتقد ابن عربى أن نصب الامام واجب ، لاقامة الدين ، ولازالة حكم التشاجر والاختصام ، واستمع الى ابن عربى حيث يقول فى هذا الصدد : « ان الانسان شجرة من الشجرات ، وجعله شجرة ، من التشاجر الذى فيه ، لكونه من الأضداد ؛ والأضداد تطلب الخصام والتشاجر والمنازعة ، ولهذا يختصم الملأ الأعلى ، وأصل وجوده فى العالم حكم الأسماء الالهية المتقابلة فى الحكم لا غير ، وهذا استيادها الالهى ، قال تعالى فى حق محمد صلى الله عليه وسلم انه قال (ما كان لى من علم

---

(١) سورة فاطر اية ٢٤ ، وراجع عنقاء مغرب ، ص ٥٢ .

الملأ الأعلى اذ يختصمون) (١) ، حتى اعلمه الله تعالى ، فعلم ان للطبيعة فيها أمرا ، كما ان للأركان فى اجسام المولدات أثرا . فلما كان الناس شجرات ، جعل فيهم ولاة ؛ يرجعون اليهم اذا اختصموا ؛ ليحكموا بينهم؛ ليزول حكم التشاجر ، وجعل لهم اماما ، فى الظاهر ، واحدا ، يرجع اليه أمر الجميع ؛ لاقامة الدين الذى أمرنا الله باقامته ، واصله قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) ، فمن هناك ظهر اتخاذ الامام وأن يكون واحدا فى الزمان ، ظاهرا بالسيف . (٢)

ويذهب ابن عربى أيضا الى ضرورة اتخاذ الامام المتبع ، فى الشىء الذى قدم له واتبع . (٣)

الامامة اذن ضرورية فيما يرى ابن عربى ؛ وهى واجبة ؛ لتطبيق الحدود ، واقامة الشرائع ، مع كونه موجودا فى فطرة العالم ، فان قلت ، فما نص الشارع بالأمر على اتخاذ الامام ؟ فمن اين يكون واجبا ؟ قلنا ان الله تعالى قد أمر باقامة الدين بلا شك ، ولا سبيل الى اقامته الا بوجود الأمان فى أنفس الناس ، على أنفسهم وأموالهم وأهليهم من تعدى بعضهم على بعض ؛ وذلك لا يكون ابدا ما لم يكن ثم من يخاف سطوته ، وترجى رحمته ، ويرجع أمرهم اليه ، ويجتمعون عليه ، فاذا تفرغت قلوبهم من الخوف الذى كانوا يخافونه على أموالهم ونفوسهم وأهليهم ، تفرغوا الى اقامة الدين الذى أوجب الله عليهم اقامته .... وما لا يتوصل الى الواجب الا به ، فهو واجب » . (٤)

ويرى ابن عربى أن الاجتماع الانسانى نفسه يقتضى قيام حاكم عادل ، فالامامة بذلك ضرورة اجتماعية ، فيقول ابن عربى حول هذا المعنى : « وقد توفرت همم العالم فى كل قرية أو بلدة أو جماعة ان يكون لهم رأس يرجعون اليه ، ويكونون تحت أمره ، وكان رسول الله

---

(١) سورة ص اية ٦٩ .
(٢) راجع الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ١٣٦ .
(٣) عنقاء مغرب ، ص ٥٨ .
(٤) راجع ، الفتوحات المكية ، جـ ٣ ، ص ٨١ .

صلى اللى عليه وسلم اذا بعث (سرية) ولو كانت السرية رجلين ، أمرا احدهما » (١) ٠

ويذهب ابن عربى الى أن للامامة علم خاص ، وأن الذى يكون فيه ذلك العلم ، ينبغى أن يكون اماما ، ويضرب ابن عربى مثلا فى هذا الشان فيقول : « الا ترى لما طعنت الصحابة فى امارة أسامة بن زيد لما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على الجيش ، فبرز خارج المدينة وأمره أن يطأ بجيشه أرض الروم ، وفى جملة الجيش ابو بكر وعمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للطاعنين فى امارته (طال والله ما طعنتم فى امارة أبيه قبل ذلك ، اما والله انه لخليق بها ، (أو جدير بها) » ٠ (٢)

ويذهب أستاذنا الدكتور ابو الوفا التفتازانى الى أن الظاهر أن الاسلام يوجب على المسلمين نصب الامام او الخليفة ، ويستدل بعض من ذهب الى هذا الرأى بقول النبى صلى الله عليه وسلم (من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » ٠ (٣)

وعلى الامام واجبات ، عليه أن يؤديها ، فى رأى ابن عربى ، ومنها النظر فى أحوال رعاياه ، والبعد عن اللذات والشهوات الدنيوية ، فالامام ان غفل بلهوه وشانه ، وشارك رعيته فيما هم عليه من فنون اللذات ، ونيل الشهوات ، ولم ينظر من أحوال ما هو مأمور بالنظر فى أحواله من رعاياه ، فقد عزل نفسه بفعله ، ورمت به المرتبة ، وبقى عليه السؤال من الله ، والوبال والخيبة وفقد الرياسة والسيادة ٠ (٤)

ومن واجبات الامام أو الخليفة عند ابن عربى ، المحافظة على الشريعة ، فهو يوصى الامام بقوله « حافظ على شريعتك ، واجعل

---

(١) الفتوحات المكية ، حـ ٣ ،ص ٨١ ٠

(٢) الفتوحات المكية ، حـ ٣ ، ص ٨١ ٠

(٣) راجع أبو الوفا التفتازانى (الاستاذ الدكتور) ، علم الكلام وبعض مشكلاته ، مطبعة القاهرة الحديثة ، القاهرة عام ١٩٦٦م ، ص٢١ ٠

(٤) راجع التدبيرات الالهية ، ص ٦٢ ٠

ملكك خادما لها ، ولا تعكس فيعكس عليك ، ولا تغفل عن النظر فى كل حين فى رعاية الأحكام الظاهرة والأسرار الباطنة المتواترة عنها ، التى وهبها الله تعالى لك ٠ (١)

والواجب على الامام فيما يرى ابن عربى أن يطبق مبدأ الشورى على رعيته ، وهو ينصح الامام بذلك قائلا « اياك وانفاذ أمر فى ملكك حتى تشاور فيه وزيرك ؛ فانه فى مشاورتك اياه ، تثبيت مودتك فى قلبه ، والمودة تورث الشفقة ، والشفقة تورث النصح ، والنصح يورث العدل ، وبالعدل بقاء المملكة » ٠ (٢)

والتحبب الى الرعيـــة ، من واجبـــات الامام ، ولذلك يوصى ابن عربى الامام أو الخليفة بقوله « تحبب الى رعيتك ، واجزل لهم العطايا ، كل صنف ما يصلح به ، وذلك بأن تمنعهم من المحارم ، وتجزل لهم مواهب الطاعات على قدر الاستطاعات ، وتذكر قول من استخلفك (وهو الله تعالى) : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » (٣) ، وقوله : « ان السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسئولا » (٤)

وعلى الامام أو الخليفة أن يراقب أحوال مماليكه ، وعدم الغفلة عنهم ، فالامام يراقب أحوال رعيته مع الأنفاس ، وهذا هو الامام الذى يعرف قدر ما ولاه الله عليه ، ويعلم أن الله رقيب عليه ، على حد قول ابن عربى ٠ (٥)

والنظر فى عاقبة الأمور مـ نواجبات الامام عند ابن عربى ، وهو ينصح الامام قائلا « الذى أوصيك به أيها السيد الكريم أن لا تنفذ أمرا

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ٦٢ ٠
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ٦٢ ٠
(٣) سورة النور آية ٢٤ ٠
(٤) سورة الاسراء آية ٣٦ ٠ وراجع التدبيرات الالهية ، ص ٥٩ ٠
(٥) راجع التدبيرات الالهية ، ص ٥٧ ٠

فى ملكك حتى تنظر الى عاقبة ذلك الأمر ، فان أعقب خيرا أمضيت والا امسكت » ٠ (١)

ومن واجبات الامام أيضا فيما يرى ابن عربى ، تنزيه النفس عن الدنيا ، فهو يقول فى هذا الشأن للامام أو الخليفة : « نزه نفسك عن الدنيا وأوضارها ، واجعلها خادمة لك ولرعيتك » ٠ (٢)

ويبين ابن عربى للامام أو الخليفة السبب فى ذلك بقوله : « وما الدنيا الى جانب منصبك الذى أهلك الله له ، المقدس عن تعلق الكونين به ، فكيف التى مقتها الله تعالى ؟ وما نظر اليها من حين خلقها ، وناهيك من تشبيه النبى صلى الله عليه وسلم اياها بالجيفة والمزبلة ، مع اخباره أنها لا تساوى عند الله جناح بعوضة ، وأنها ملعونة ، ملعون ما فيها ، الا ما كان من ذكر الله ، فيجمل بخليفة مثلك قد خلقه الله نورا ، جوهرة يتيمه ، أن يلحظ ببصره أو بطرفه الى جيفة أو مزبله ، أو يتكالب عليها » ٠ (٣)

ومن واجبات الامام أو الخليفة أيضا عند ابن عربى أن ترفع اليه أعمال الرعية ، يرفعها اليه عماله ، وجباته ، فيقبل منها ما شاء ، ويرد منها ما شاء ، فكل ما ذكره الحق لنفسه من التصرف فى خلقه ولم يعينه جعل للامام أن يتصرف به فى عباده ٠ (٤)

ثانيا : حقوق الامام الطاعة والاتباع من الرعية

اذا قام الامام بواجباته ، فقد أدى حق الله تعالى والناس ، ويذهب ابن عربى الى أن الامام أو الخليفة له حقوق على رعيته ، ومن هذه الحقوق ، الطاعة والاتباع ، وهو يرى أن الطاعة تستمد من آيات من

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ٥٥ ٠

(٢) التدبيرات الالهية ، ص ٥٧ ٠ وأوضار : مفرد وضر وضرا ، فهو وضر ، مثل وسخ وسخا ، فهو وسخ وزنا ومعنى - انظر المصباح المنير ، مادة وضر ٠

(٣) التدبيرات الالهية ، ص ٥٧ ٠

(٤) التدبيرات الالهية ، ص ٥٩ ٠

القرآن الكريم ، فيقول تعالى (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (١) .

ويرى ابن عربى أن أولى الأمر هم الأقطاب والخلفاء والولاة ، وأن هؤلاء الحكام ليس لهم حكم الا فى المباح ، فان الواجب والمحظور من طاعة الله وطاعة رسوله ، فما بقى للأئمة الا المباح ؛ ولا أجر فيه ولا وزر ، فاذا أمرك الامام المقدم عليك الذى بايعته على السمع والطاعة بامر من المباحات وجبت عليك طاعته فى ذلك ، وحرمت مخالفته ، وصار حكم ذلك والذى كان مباحا (واجبا) ، فيحصل للانسان اذا عمل بأمره ، أجر الواجب ، وارتفع حكم الاباحة منه » . (٢)

وابن عربى يرى أن الامام يتعين على المامومين اتباعه ؛ لأن الله تعالى أنزله منزلته فى الحكم ، فهو امام الأئمة ، فيقول حول هذا المعنى « من أنزله الحق منزلته فى الحكم ، تعين اتباعه » . (٣)

ويعتقد ابن عربى أن أى منزلة من منازل الامامة ، كبرت أو صغرت ، فان الطاعة للامام فيها من المأموم واجبة ، فهو يقول حول هذا المعنى « أى منزلة (أى : من منازل الامامة) صغرت أم كبرت ، جلت أم قلت ، فان الطاعة فيها من المأموم واجبة ، والمخالفة لها فاسدة » (٤) .

ويرى ابن عربى أنه لما كان الله تعالى جعل له أعداء ينازعونه فى ألوهيته ، كفرعون وأمثاله ، كذلك جعل الله للخلفاء منازعين فى رتبتهم ، وجعل له أن يقاتلهم ويقتلهم اذا ظفر منهم ، كما يفعل سبحانه مع المشركين .

ويستطرد ابن عربى الكلام حول هذا المعنى قائلا : ثم انه (أى

---

(١) سورة النساء ، آية ٥٩ .
(٢) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ١٣٦ .
(٣) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ١٣٦ .
(٤) عنقاء مغرب ، ص ٥٧ .

الله تعالى) ، جعل بعض الناس خليفة على أرضه ، وجعل له الحكم فى خلقه ، وشرع له ما يحكم به ، واعطاه الأحذية ، فشرع أنه من نازعه فى مرتبته ، قتل المنازع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) ٠ (١)

ثالثا : واحدية الامام أو الخليفـة

الأصل عند ابن عربى ، الوحدة فى الامامة ، فلا يجوز أن يقوم على ولاية أمر الأمة امامان ؛ اذ لا يجوز أن يكون فى العالم الظاهـر امامان فى وقت واحـد ، ويثبت ابن عربى واحدية الامام أو الخليفة بادلة نقلية وعقلية ، فمن الأدلة النقلية ، قال الله عز وجل : (الهكم اله واحد) (٣) ، وقال تعالى (قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (٢)، وقال سبحانه (انى جاعل فى الأرض خليفة) (٣) ٠

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا بويع لخليفتين ، فاقتلوا الآخـــر منهما) ٠٠٠ » (٤) ٠

ويعتقد ابن عربى أن الامام يجب أن يكون واحدا ، ويبرهن على ذلك بدليل عقلى ؛ فيجب أن يكون الامام او الخليفة واحدا ، لئلا يختلفا، فيؤدى ذلك الى امتناع وقوع المصلحة ، والى الفساد (٥) ٠

ويورد ابن عربى دليلا عقليا آخر فى هذا الشان ، فهو يرى أنه لا يصح عقلا ولا شرعا تدبير ملك بين اميرين متناقضين فى احكامهما ، (لو كان يحكم فيهما آلهة الا الله لفسدتا)؛ وان فرض اتحاد الارادة فى حق

---

(١) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٤٧٥ ٠
(٢) سورة البقرة اية ١٦٣ ٠
(٣) سورة الانبياء اية ٢٢ ٠
(٤) سورة البقرة ، آية ٣٠ ٠
(٥) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٨١ ٠
(٦) راجع الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٨١ ٠

المخلوقين ، فان حكم العادة يابى ذلك والشرع ، فى حق هذين الأميرين » . (١)

ويذكر ابن عربى دليلا عقليا أيضا فى هذا الشأن ، فيرى أن الله تعالى قد منع أن يوجد من الامام أو الخليفة فى زمان واحد ، اثنان ، لأنه قد يأمر أحد الخليفتين بعين ما ينهى عنه الآخر ، ولابد من امتثال أمر أحدهما ؛ اذ لا يسوغ امتثال الأمرين ، فان تركوا ، عوقبوا ، وان أطاعوا أحدهما ، عاقبهم الآخر ، اذ بنفس ما يطيعون الواحد ، عصوا الآخر ، فعاقبهم من عصوه ، فوجب على من أطاعوه نصرتهم ، فادى ذلك الى حروب وفتن تشغل عن تدبير الملك ، فيخرب ؛ فلهذا نص على خليفة واحد . (٢)

وقد يعترض معترض فيما يرى ابن عربى فيقول : قد سمعنا الله تعالى يقول (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) ، وقد قلت انه واحد شرعا ، فكيف الجمع ؟ ويجيب ابن عربى على ذلك المعترض بقوله « ان سر الخلافة واحد ، وهو متوارث ، تتوارثه هذه الأشباح ، فان ظهرت (الامامة أو الخلافة) فى شخص ما ، مادام ذلك الشخص متصفا به ، من المحال شرعا أن يوجد لذلك القبيل فى ذلك الوطن بعينه فى شخص آخر ؛ وان ادعاه أحد فهو باطل ودعواه مرفوضة ، وهو دجال ذلك الزمان . فاذا فقد ذلك الشخص ، انتقل ذلك السر الى شخص آخر ، فانتقل معه اسم الخليفة ، فلهذا قيل (خلائف) » (٣) .

ويعقب الأستاذ الدكتور أبو العلا عفيفى على معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) ، فيرى أن للخلافة نوعان : خلافة روحية أو باطنة ، وخلافة حكم أو ظاهرة ، وكلا الخلافتين فيه تمثيل لله ، ونيابة عنه فى الأرض ولا يختلفان الا فى أن الخليفة الباطن يستمد علمه من الله مباشرة ، فى حين أن الخليفة الظاهر ليس الا تابعا للرسول يستمد علمه منه ، والأول هو خليفة الله

---

(١) راجع التدبيرات الالهية ، ص ٤٧ .

(٢) التدبيرات الالهية ، ص ٥٣ .

(٣) التدبيرات الالهية ، ص ٥٣ .

على الحقيقة ، أاما الثانى فهو خليفة الله ، من حيث هو خليفة رسول الله ، ولا يستحق اسم الخلافة الا اذا عدل فى خلافته ، ويرى الدكتور عفيفى أن النبى لم يذكر فى الحديث المذكور شيئا عن عدد الخلفاء الباطنيين ، فقد يوجد منهم فى الزمان الواحد ، واحد أو أكثر من واحد ولو أن بعض الشراح مثل القاشانى والقيصرى قد قرروا استحالة وجود أكثر من خليفة باطنى ، هو الذى يسمونه (بالقطب) ، غير أن الحديث صريح فى أنه اذا بويع خليفتان فى زمان واحد ، وجب قتل الآخر منهما ، فلابد أن يكون المراد بالخلفاء هنا ، الخلفاء الظاهرين . (١)

ويعتقد الدكتور عفيفى أن (حكمة القتل) فى نظر ابن عربى ترجع الى أن مبايعة خليفتين ، كل منهما ممثل لله فى الأرض ، توهم وجود الهين ؛ لأن قبول الاثنين على أنهما ممثلان ظاهران لله ، يتضمن التسليم بوجود الهين ، وهذا مخالف لعقيدة التوحيد الاسلامية ، أما الخلفاء الباطنيون ، فلا يظهرون بين الناس بخلافتهم ، ولا يعترفون بها ، ولا بيعة لهم ، فلا خطر منهم على عقائد الناس ؛ وبذلك فان ابن عربى يحارب ما استطاع ، الخلاف فى الراى فيما يتعلق بالخلافة الظاهـــرة . (٢)

ولذلك فان ابن عربى يقول حول هذا المعنى « أما قوله عليه السلام ، (اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) هذا فى « الخلافة الظاهرة » التى لها السيف ، حتى وان اتفقا ، فلابد من قتل أحدهما ، بخلاف (الخلافة المعنوية) الباطنة ، فانه لا قتل فيها ، وانما جاء القتل فى الخلافة الظاهرة » (٣) .

وربما يسال بعض الناس ، ومن الذى يقتل من الخليفتين ، الأول أو الآخر ، وهل التقدم هنا يكون بالزمان ؟ ويجيب ابن عربى على ذلك بقوله « ليس التقدم والتاخر هنا بالزمان ، وانما التقدم هنا باحصاء

---

(١) راجع فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ٢ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(٢) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ٢ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(٣) فصوص الحكم والتعليقات عليه ، حـ١ ، ص ١٦٤ .

الشرائط ، أعنى شرائط الامامة ففيمن وجدت ، كان المتقدم للامامة ، ويخلع من لم تكمل فيه تلك الشروط ، ويقتل ان عاند ولم يدخل فى الأمر ، فلا يلتفت للزمان ٠ (١)

وسوف نحصى شروط الامامة ، وصفات الامام فيما يعتقد ابن عربى ، وذلك فى الفصل التـــالى :

---

(١) راجع التدبيرات الالهية ، ص ٤٩ ٠

رابعاً

شروط وصفات الإمام أو الخليفة

رابعاً

شروط وصفات الإمام أو الخليفة

أولا : شـروط الامام أو الخليفة :

يعتقد ابن عربى أن شرائط الامامة على ما ذكرت العلماء ، عشرة ؛ ست منها خلقية لا تكتسـب ، واربع منها مكتسـبة ، أما الخلقية ، فالبلوغ ، والعقل ، والحرية ، والذكورة ، ونسب قريش (وفيه خلاف)، ولم يره بعض العلماء ، وسلامة حاسة السمع والبصـر . وأما الأربعة المكتسبة ، فالنجدة ، والكفاية والعلم ، والورع (١) .

ونذكر فيما يلى هذه الشروط ، شريطة شريطة ، حتى نستوفيها ، ونبين أن الخليفة أو الامام قد جمعها :

الشرط الأول : البلوغ ؛ فان الامامة لا تنعقد لصبى .

الشرط الثانى : العقل ؛ فان الامامة لا تنعقد لمجنون ؛ اذ هو غير مخاطب ولا تكليف عليه والامام مكلف .

الشرط الثالث : الحرية ؛ فان الامامة تستدعى أن يستغرق الامام اوقاته فى أمور الخلق ، وهذا لا يتفق للعبد ؛ اذ سيده ملك له ، يقطع عليه النظر فى مهمات الخلق باشتغاله فى تصرفاته ، ويعتقد ابن عربى أن الامامة لا تنعقد لرقيق .

الشرط الرابع : الذكورة ؛ فان الامامة لا تنعقد لامرأة ، ويعتقد ابن عربى أن الذى منع من ذلك أنه ليس لها منصب القضاء ، ولا منصب الشهادة فى اكثر الحكومات شرعا .

الشرط الخامس : النسـب القرشى ؛ لقوله صـلى الله عليه وسلم (الخلفاء من قريش) . (٢)

---

(١) راجع ، التدبيرات الالهية ، ص ٤٩ وما بعدها .

(٢) راجع الدتبيرات الالهية ، ص ٥٠ ، ويرى ابن عربى أن قريشا من التقرش ، وهو التقبض والاجتماع . وأنه لما كانت هذه القبيلة جمعت عدة قبائل ، سميت قريشا: أى مجموع قبائل .

تعقيب :

المذاهب الاسلامية عند المتكلمين تختلف حول شرط القرشـية ، فبعضهم يجعل الاختيار منحصرا فى قريش ، ومن هؤلاء أهل السنة ، وبعضهم لا يتقيد بهذا الشرط (شرط القرشية فى الامامة) ، كالخوارج، وبعض المرجئة ، والمعتزلة ، والبعض الآخر يرى أفضلية أن يكون الامام من قريش ، وان لم يكن ذلك ضروريا ، كبعض المعتـزلة وبعض أهل السـنة ٠ (١)

الشرط السادس : سلامة حاستى السمع والبصر ؛ اذ الأعمى والأصم، لا يتمكن من تدبير نفسه ، فكيف يدبر غيره ٠

الشرطان السابع والثامن : النجدة والكفاية ؛ بمعنى أن يكون جريئا على اقامة الحـدود ، واقتحام الحـروب ، يتصف بالقـوة على معاناة السياسـة ، ونجـدة المحتاج ، يقول ابن عربى حـول هـذا المعنى : « ألا تـرى أن الله تعالى ، لما أراد نصرة عباده ، أمـدهم بملائكته ، وأيدهم بهم ، قال تعالى : (انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين)(٢)، وقال : (وأيدهم بروح منه) (٣) ٠

الشـرط التاسع : العلم :

ويرى ابن عربى أن العلم قد ظهر فى آدم عليه السلام ، حين علم الأسماء كلها ٠

وشرط العلم ضرورى ؛ لأنه كان الامام بحكم منصبه ، منفذا للأحكام، وحفظ الدين ، فانه لا يتهيأ له ذلك الا اذا كان عالما بهذه الأمور ٠

وابن عربى يذكر أن آدم علامة ، وأنه عالم معلم ، وأنه أعلم من الملائكة ، قال تعالى : (يآدم أنبئهم بأسمائهم) ، فلما أنبأهم بأسمائهم،

---

(١) أبو الوفا التفتازانى (الاستاذ الدكتور) ، علم الكلام وبعض مشكلاته ، القاهرة ، عام ١٩٦٦ ، ص ٢٩ ، ٣٠ ٠

(٢) سورة الأنفال آية ٩ ٠

(٣) سورة المجادلة آية ٢٢ وراجع التدبيرات الالهية ، ص ٥٠ ٠

أى : أعلمهم ، ظهـرت العلامة ، وهى العـلامة التى اسـتوجب بها الخـلافة . (١)

ويعتقد ابن عربى أن الخليفة أو الامام لا يقتنى العلوم من فكره ؛ فانه لو رجع الى نظره لأخطأ ، ولا حجاب بين الله وبين العبد أعظم من نظر العبد الى نفسه ، وأخذ العلم عن فكره ونظره ؛ فالأخذ عـن طريق الفكر والنظر حجاب عن الله تعالى .

واذا كان الأمر كذلك ، فلابد أن يأخذ الخليفة أو الامام ، العلـم عن الله ، من فتوح المكاشفة بالحق ، وحول هذا المعنى يقول ابن عربى: « ان الامام لا يقتنى العلوم من فكره ، بل لو رجع الى نظره لأخطأ ، فان نفسه ما اعتادت الا الأخذ عن الله ، وما أراد الله لعنايته بهذا العبد أن يرزقه الأخذ من طريق فكره ؛ فيحجبه ذلك عن ربه ؛ فانه فى كل حال يريد الحق أن يأخذ عنه ما هو فيه من الشئون فى كل نفس ».(٢)

ويستطرد ابن عربى قوله حول هذا المعنى :

« ولا يسمى الشخص الهيا الا أن لا يكون أخذ العلوم الا عن الله من فتوح المكاشفة بالحق ، ويورد ابن عربى كلام أبو يزيد البسطامى فى هذا الشـان ، حيث يقول أبو يزيد : (أخذتم علمكم ميتا عـن ميت ، حدثنـا فلان وأين هو ؟ قال : مات ، فقال أبو يزيد ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت) . (٣)

ويعرف ابن عربى ، الفتوح بانه كل أمر جاءك من غير تعمل ولا استشراف ولا طلب ، سواء كان ظاهـرا أو باطنا ، ولهذا الفتـوح علامة فى الذى يذوق هذا الفتوح ، عدم الأخذ من فتوح الغير ، أو من نتائج الفكر ، ومن شرط الفتوح أن لا يصحبه فكرا ، ولا يكون نتيجة فكـر . (٤)

---

(١) راجع ، التدبيرات الالهية ، ص ٥٠ .
(٢) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ١٣٩ .
(٣) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ١٣٩ .
(٤) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٥٠٥ .

ويعتقد ابن عربى أن المكاشف يرى الحق تعالى فى الأشياء كشفا ، فالذين لهم فتوح المكاشفة ، تقع أعينهم فى الأشياء على الحق تعالى ، فمنهم من يرى الحق فى الأشياء ، ومنهم من يرى الأشياء والحق فيها ، ويرى ابن عربى أن هناك فرق بين الرؤيتين ، فالذى يرى الحق فى الأشياء ، تقع عينه ـ عند الفتح ـ على الحق تعالى ، فيراه فى الأشياء، أما الذى يرى الأشياء والحق تعالى فيها ، فان عيناه تقع على الأشياء ، فيرى الحق تعالى فيها (١) .

ويربط ابن عربى بين فتوح المكاشفة بالحق تعالى ، وبين مذهبه الفلسفى (وحدة الوجود) ، فهو يرى أن الذى يذوق فتوح المكاشفة ، يرى الحق تعالى فيكون عين رؤيته اياه العالم ، يقول ابن عربى حول هذا المعنى :

« وأعظم فتوح المكاشفة ـ فى مثل هذه المسالة ـ أن يرى الحق ، فيكون عين رؤيته العالم » (٢) .

ويذكر ابن عربى أن هذه الرؤية ليست لأهل النظر ، لأن النظر ليس فى قوته ذلك ، وانما هو من خصائص الكشف (٣) . وأن هذا لا يعرف الا من فتوح المكاشفة . (٤)

الشـــرط العاشر : الورع .

والورع فيما يرى ابن عربى ، الاجتناب ، وهو فى الشرع ، اجتناب الحرام والشبه ، ولا اجتناب الحلال ، ويستشهد بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) (٥) .

---

(١) راجع الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٥٠٨ .

(٢) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٥٠٨ .

(٣) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٥٠٨ .

(٤) الفتوح عند الصوفية : هو كل ما يفتح على العبد من الله تعالى بعدما كان مغلقا عليه من النعم الظاهرة والباطنة والارزاق والعبادة ، والعلوم ، والمعارف ، والمكاشفات ، انظر ضياء الدين الكمشخانوى ، جامع الاصول ، مطبعة الجمالية ، القاهرة عام ١٣٢٨ هـ ، ص ١١٢ .

(٥) راجع الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ١٧٥ .

ويــرى ابن عربى أن الجامــع لبــاب الورع ، أن تجتنب ، فى ظاهرك وباطنك ، وجميع أعضائك ، كل عمل وترك لا يكون لله على الحد المشروع فيه ، المخلص له ، الذى لا شبهة تضره ، ولاتقدح فيه (١)٠

ثانيا : صفات الامام أو الخليفة :

لابد للامام أو الخليفة أن يظهر بكل صورة يظهر بها من استخلفه، وهو الله تعالى ، فلابد من احاطة الخليفة بجميــع الأسماء والصــفات الالهية التى يطلبها العالم الذى ولاه عليه الحق سبحانه ٠ (٢)

واذا كان العبد نائبا ، وخليفة عن الحق تعالى ، أو خليفة عــن عبد مثله ، فلابد أن يخلع عليه من استخلفه من صفاته ما تطلبه مرتبة الخلافة ٠ (٣) وذلك على حد قول ابن عربى ٠

وينبغى للامام أو الخليفة أن يتخلق بأسماء من استخلفه ؛ حتى يظهر ذلك فى أخلاق رعيته ، وفى أفعالهم ، يقول ابن عربى حول هذا المعنى « أعلم أن الذى يريد أن يستنيب فى عباده ممن يقوم فيهم مقامه لابد أن يكسوه صفته ونعته » (٤) ٠

واذا لم يكن الامام أو الخليفة متصفا بأخلاق من استخلفه جامعا لها ، مما تحتاج اليه من استخلف عليهم ، والا فلا يصح خلافته » (٥)٠

وعلى الجملة ، فلله صفات وأسماء ، لها مراتب ، وللعبد التخلق والتحلى بها ، كمــا أن للعبد صفات واســماء تليق به ، وقــد داخله الحق فى الاتصاف بها ٠

ويورد ابن عربى دليلا نقليا على صحة ما ذهب اليه ، فهو يقول حول هذا المعنى « كفى بهذا شرفا للانسان ، وهو سجود الملائكة للانسان،

---

(١) الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ١٧٦ ٠
(٢) الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ١٧٦ ٠
(٣) الفتوحات المكية ، المجلد الرابع ، ص ٤٧ ٠
(٤) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٨١ ٠
(٥) الفتوحات المكية ، المجلد الرابع ، ص ٣ ٠

فكيف اذا انضـــاف الى ذلك كون آدم على صـورة الرحمن ، من حيث الصفات ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (اتصفوا بصفات الله) ٠ (١)

فالرعيـة اذن على دين الامام ، سـواء كان (الامام) فى عالم البسائط ، وهى عالم الظواهر المشاهد ، أو فى عالم الأجسام الماديـة والكائنات ٠ فاذا صلح الامام ، صلحت الرعية ، واذا فسد ، فسدت ٠(٢)

ويوضح لنا ابن عربى سر فساد الامام وصلاحه المرتبط بصلاح الرعية وفسادها ، أن الله تعالى اذا ولى خليفة قوما ، فانه يعطيه أسرارهم وعقولهم ، فيكون اذ ذاك مجموع رعيته ، فمتى خلفهم فى أسرارهم وعقولهم ، ظهـر ذلك عليهم ، وان اتقى الله فى ذلك ، ظهـر ذلك عليهم ٠ (٣)

ويعتقد ابن عربى أنه قل من الأئمة والخلفاء ، خليفة تجمع القلوب على بيعته ، وتنجذب الى محبته ، ويكون لها قابلية عليه فى متابعته فى الامامة ، ولاسيما ان كان قد اختل ، أى : اضطرب وتغير ما بين يديه ، وعميت عليه الأمور والأحكام ، فلا سبيل الى مبايعته ٠ (٤)

ولما كانت الخلافة تطلب الظهور بصورة من استخلفه ، والذى جعله خليفة عنه ، ذكر عن نفسه أنه على صراط مستقيم ، فلابد أن يكون هذا الخليفة على صراط ، فنظر فى الطرق ، فوجدها كثيرة ، منها صراط الله ، ومنها صراط العزيز ، ومنها صراط الرب ، ومنهـــا صراط محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنها صراط النعم ، ومنها صراط الذين انعمت عليهم ، وهـو قوله تعالى : (لكل جعلنا منكم شـرعة ومنهاجا) ، فاختار هذا الامام المحمدى ، سبيل محمد صلى الله عليه وسلم ، وترك سائر السبل ، مع تقريرها وايمانه بها ، ولكن ما تعبدت نفسه الا بصراط محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا تعبد رعاياه الا به »(٥)

---

(١) راجع التدبيرات الالهية ، ص ٤٢ ٠
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ٤٢ ٠
(٣) التدبيرات الالهية ، ص ٤٢ ٠
(٤) التدبيرات الالهية ، ص ٦٠ ٠
(٥) الفتوحات المكية ، حـ ٣ ، ص ٤١٠ ٠

ويوصى ابن عربى الامام أو الخليفة بأن يتمسك بصفات عدة وهى :

أولا الحكمة :

فهو ينصح الامام أو الخليفة ، بقوله : « ينبغى لك ، بل هو آكد عليك أن لا تضع شيئا فى غير موضعه ، ولا تبرز شيئا الا فى وقته المعهود عندهم ٠ (١)

والحكمة فيما يعتقد ابن عربى ، هى صفة تحكم ، ويحكم بها ولا يحكم عليها ، واسم الفاعل منها حكيم ، فلها الحكم ، واسم الفاعل من الحكم ، الذى هو أثرها ، حاكم وحكم ٠ (٢)

والحكيم فيما يعتقد ابن عربى ، هو الذى يجرى مع كل حال وموطن ، بحسب ذلك الحال وذلك الموطن ، وليس هذا الا للملامية خاصة ٠ (٣)

ثانيا : الرحمة :

يذهب ابن عربى الى أن الخليفة أو الامام يجب أن يتحلى بالرحمة ، وخاصة الرحمة الموضوعة فيه من الله تعالى ، فان الله يخلقه على صورته ، ولكل اسم لله تعالى رحمة ، وان كان فى أسمائه المنتقم ، ففى انتقامه رحمة ٠ (٤)

ولكن لا يعنى ذلك ، الرحمة التى تورث الشفقة ، وانما الرحمة التى تصحبها العزة والسلطان ٠ (٥)

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ٦٠ ٠

(٢) الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٢٦٩ — والحكمة عند الصوفية هى العلم بحقائق الاشياء وأوصافها وخواصها واحكامها على ماهى عليه ، وارتباط الاسباب بمسبباتها ، انظر جامع الاصول ، ص ٩٩ ٠

(٣) راجع الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٢٦٩ ٠

(٤) الفتوحات المكية ، المجلد الرابع ، ص ٤٧ ٠

(٥) راجع ، الفتوحات المكية ، المجلد الرابع ، ص ٤٧ ٠

ثالثا : معرفة قدر النفس : ـ

ويوصى ابن عربى الخليفة أو الامام بأن يعرف قدر نفسه ، فيقول له ناصحا : (حافظ على ذاتك الشريفة الروحانية ، وان أمكنك أن لا تصرفها فى قيام وقعود ، وترك وسكون ، وأشباه ذلك من جميع أفعالك الا عن أمر الهى) • (١)

رابعا : العدل : ـ

ويعتقد ابن عربى أن العدل محمود ، ومحبوب ، وهو الحاكم يوم القيامة بين العباد ، وأنه المأمور به شرعا ، ومتى لم يكن العدل ، خرب الملك ، ويوصى ابن عربى الخليفة أو الامام بالحكم بين الناس بالعدل ، فالله تعالى قد أمر عباده باقامة العدل بين عباده ، قال تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) (٢) ، وذم من لم يتصف به ولا جعله حاكما عليه فقال (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) • (٣)

ويقول ابن عربى للخليفة أو الامام حول هذا المعنى :

« ان أردت بقاء مملكتك عليك ، والظفر باعدائك ، أن يكون متولى أحكام رعيتك ، ومنفذ قضاياك (العدل) ؛ فانه ـ أبقاه الله عليك ، ما ولى مدينة قط ، ولا مملكة الا ظهرت فيها البركة ، ونمت الأرزاق ، وعمت الخيرات جميعها ، وهو موجود محبوب على مر الدهر والأمصار ، وهو الميزان الموضوع فى الأرض ، وبه يكون الفصل فى العرض الأكبر ، بين العباد ، وهو الحاكم فى ذلك اليوم ، وهو المأمور به شرعا وان الملك جسد ، وروحه العدل ، ومتى لم يكن العدل خرب الملك • (٤)

ويقرر ابن عربى أن العدل سار فى جميع الأشياء ، ولذلك فهو

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ٦٦ •
(٢) سورة النحل آية ٩٠ •
(٣) سورة المطففين آية ١ ، وراجع التدبيرات الالهية ، ص ٦٦ •
(٤) راجع التدبيرات الالهية ، ص ٦٦ •

ينصح الخليفة أو الامام بأن يجعل العدل حاكما على رعيته ، فهو يقول له : « اجعل العدل حاكما على نفسك وأهلك ورجلك وخولك وعبيدك وأصحابك وجميع من توجه عليه حكمك ، وفى كلامك وفعلك ، ظاهرا وباطنـــا » (١)

ويذكر ابن عربى أن من الخلفاء والأئمة من قام بالعدل فى الرعايا ، واستند الى الحق فى ذلك ، كملوك زماننا اليوم مع الخليفة ، فمنهم السمع والطاعة فيما يوافق أغراضهم وما لا يوافق ، ومنهم من لا يعمل بمكارم الأخلاق ولا يمشى بالعدل فى رعيته ، فذلك هو المنازع لحدود مكارم الأخلاق ، والمغالب لجناب الحق فى مغالبته رسل الله ٠ (٢)

ويرى ابن عربى أن الله تعالى يمهل المغالبين والمنازعين لعلهم يرجعون ، وأن الله أوجب على عباده القتال معه ، والقيام فى حقه ، ونصرته ، والأخذ على يد الجائر ٠ (٣)

ويقول ابن عربى حول هذا المعنى شعرا :

ما كل من حاز الجمال بيوسف
ان الجميل هو الامام المنصف (٤)

وبالجملة ، فان ابن عربى يعتقد ان الجور والعدل يقع فى أئمة الظاهر ، ولا يكون القطب الا عدلا ٠

ويذكر ابن عربى أن القطب قد يظهر فى وقت ، وقد يختفى بعضهم فى وقت آخر ، فالله أعطاه الأهلية لذلك المقام ، وعرض عليه الظهور فيه بالسيف حسبما أمره (يقصد سيف العدل) ، فمن قبله ظهر بالسيف فكان خليفة ظاهرا وباطنا ، ما ثم غيره ، وان اختار عدم الظهور ؛ لمصلحة رآها ، اخفاه الله وأقام عنه نائبا فى العالم ، يسمى خليفة ،

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ٦٦ ٠
(٢) راجع ، الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٤٧٥ ٠
(٣) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٤٧٧ ٠
(٤) راجع الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٤٧٧ ٠

يجور ويعدل ، وقد يكون عادلا ، على قدر ما يوفقه الله سبحانه ، ويكون حكمه ـ وان كان جائرا ، حكم الامام العادل ، من نازعه قتل ، ولا يقتل الا الآخر ؛ فانه المنازع ، وأمرنا الله أن لا نخرج أبدا عن طاعته ، وأخبرنا أن من عدل منهم فلهم ، وأن من جار منهم فعليهم ولنا . (١)

---

(١) راجع ، الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ١٣٦ .

خامساً

ثبوت الخلافة أو الإمامة

خامساً

ثبوت الخلافة أو الإمامة

(أ) مبايعة الخليفة أو الامام

تثبت الامامة بالبيعة عند ابن عربى ، والبيعة اختيار وعقد من اهل الحل والعقد ، المحافظين على الشرع ، والمدافعين عن مصالح الناس ، ويجب أن يقدم فى الامامة من كانت فيه الشروط على العقد المربوط ، والعهد الموثوق على مبايعة هذا الخليفة أو الامام ، وحول هذا المعنى يقول ابن عربى : « وليقدم فى تلك المنزلة من كانت فيه الشروط على العقد الوثيق المربوط » (١) .

ويذهب ابن عربى الى أن كل خليفة أو امام ، يبايع على قدر عزمه فى مجاهدة نفسه ، ومبلغ علمه وما وصل اليه فهمه من المعرفة بالله والعلم بامامة الأمة ، فربما يبايع شخص على الامامة ولا يكون أهلا لها ، وفى غيره تكتمل شروط الامامة وصفات الامام ، فلابد للامام من توافر هذه الشروط والصفات ، يقول ابن عربى فى هذا الصدد : « وكل مبايع يبايع على قدر عزمه ، ومبلغ علمه ، فقد يبايع شخص على الامامة ولا يكون أهلا لها ؛ لأنه لم تكن فيه العلامة » . (٢)

ويعتقد ابن عربى أن السعيد من عرف امام وقته ، فبايعه وحكمه فى نفسه واهله وماله . (٣)

ويشترط فى المبايعة عند ابن عربى ، المنشط والمكره ، وهو يذكر سبب ذلك قائلا : « لأن الانسان ما ينشط الا اذا وافق أمر الله هوى

---

(١) راجع عنقاء مغرب ، ص ٥٨ .

(٢) عنقاء مغرب ، ص ٦ .

(٣) راجع الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ١٣٦ .

نفسه ، والمكره اذا خالف أمر الله هوى نفسه ، فيقوم به على كره ؛ لانصافه ووفائه بحكم البيعة ؛ فانه ما بايع الا الله ؛ اذ كانت (يد الله فوق أيديهم) ٠ (١) ، وما شاهدوا بالابصار الا يد هذا الشخص الذى بايعـــوه ٠ (٢)

فالله تعالى يمد يد المبايعة لهذا الخليفة أو الامام المطلوب يده ، وحينئذ تقع المبايعة على يد الله تعالى من غير أن ينظر هذا الخليفة ببصره اليها ، ويوضـــح لنا ابن عربى ذلك بقوله : « فيمد (أى الله تعالى) عند تلك المبايعة ، للخليفة الناقص فى ظاهر الحس ، الخليفة المطلوب يده ، من حضرة القدس ، فتقع المبايعة عليها ، من غير أن ينظر ببصره اليها » ٠ (٣)

(ب) حكم الخليفة أو الامام

يذهب ابن عربى الى أن الخليفة أو الامام يســتقى أحكامه مــن كتابين ، الكتاب الأول ناطق ، وصادق ، وهذا هو الكتاب المحفوظ فى قلوبنا ، المقروء بالسنتنا ، أما الكتاب الثانى فهو الكتاب الصحيح ، الذى يشهد عليه التصريح ، وذلك فى قوله تعالى (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (٤) ، ويرى ابن عربى أن هذا الكتاب يحكم على الانسان بما شاء الله تعالى ، ويورد ابن عربى قول الرســول صلى الله عليه وسلم : (ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى يبقى بينه وبينها باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب) الذى هو مسطر فى أم الكتاب ، وهو الكتاب الأول المترجم عن هذا الكتاب المحفوظ فى قلوبنا ، المقروء بالسنتنا ، (فيدخل النار) ؛ لما ســبق به الحكم فى الكتاب الأول » ٠ (٥)

ويرى ابن عربى أن هذا الكتاب يسمى أيضا بالكتاب المبين والامام

---

(١) سورة الفتح آية ١٠ ٠
(٢) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ١٣٦ ٠
(٣) عنقاء مغرب ، ص ٦٠ ٠
(٤) سورة البقرة آية ١ ٠
(٥) راجع ، عنقاء مغرب ، ص ٥٧ ٠

المبين ، واللوح المحفوظ ، والعقل الأول ، قال الله تعالى (وكل شيء احصيناه فى امام مبين) (١) ، فقوله احصيناه ، دليل على ، ما أودع فيه الا علوما متناهية ، فنظرنا ، هل ينحصر لأحد عددها ؟ فخرجت عن الحصر ، مع كونها متناهية ؛ لأنه ليس فى الامام المبين الا ما كان من يوم خلق الله العالم ، الى أن ينقضى حال الدنيا وتنتقل العمارة الى الآخرة · (٢)

وعلى الجملة ، فالحق تعالى كتب للخلفاء كتبا بذلك ، للحدود والشرائع والمراسم ، نزلت بها السفراء عليهم ليسمعوها رعاياهم ، فيعلموا حدود ما أنزل الله الذى استخلف عليهم ، فيقفوا عندها ويعلموا بها سرا وجهرا ، فمنها ما كتبه بيده تعالى ، وهو التوراة ، ومنها ما نزل به الروح الأمين عليهم من الكتاب المكنون ، الذى نزل من الله من عرشه ، المنقول من الدفتر الأعظم ، وهو الامام المبين ، فهو معه على عرشه ، ونقل منه فى اللوح المحفوظ قدر ما يقع به التصريف فى الدنيا الى يوم القيامة ، يتضمن ما فى العالم من حركة وسكون ، واجتماع وافتراق ، ورزق واجل وعمل ، ثم انزل ذلك كله فى كتاب مكنون الى السماء الدنيا ، وجعله بأيدى سفرة ، كرام بررة ، مطهرين ، أرواح قدس ، « صحفا مكرمة ، مرفوعة مطهرة » ، وقد عبر عن هذا الكتاب ، أبو الحكيم بن برجان ، الامام المبين ، وهو اللوح المحفوظ ، المعبر عنه (بكل شيء) فى قوله تعالى (وكتبنا له فى الألواح من كل شيء) (٣) ، وهو اللوح المحفوظ ؛ والذى حملهم على ذلك (أى ابن برجان وغيره) ، قوله تعالى : (وكل شيء أحصيناه فى امام مبين) ، ووجدنا العالم كله ، أسفله وأعلاه ، محصى فى الانسان (أى الكامل) ، فسميناه الامام المبين » · (٤) ، وقال الله تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) ، اعتباره (الذى هو الانسان) من شيء يفصل فى العالم بأسره · (٥)

---

(١) سورة يس آية ١٢ ·
(٢) الفتوحات المكية ، المجلد الرابع ، ص ٢٦ ·
(٣) سورة الأعراف آية ١٤٥ ·
(٤) التدبيرات الالهية ، ص ١٢١ ·
(٥) التدبيرات الالهية ، ص ٣٦ ·

وكما أن الحق يحكم بسابق علمه فى خلقه ، يحكم الخليفة بغلبة ظنه ؛ لأن الخليفة ليست له مرتبة العلم بما يجرى فى ملكه ، ولا يعلم المحق من المبطل ، وانما هو بحسب ما تقوله البينة ، وبهذا قال من قال (انه ليس للحاكم أن يحكم بعلمه . (١)

(ج) مكان الخلافة أو الامامة

يذهب ابن عربى الى أن الأرض محل الخلافة أو الامامة ، ويستدل على ذلك بقوله تعالى (انى جاعل فى الأرض خليفة) (٢) .

ويرى كذلك أن الخليفة لابد له من مكان يكون فيه ؛ حتى يقصد بالحاجات ؛ حتى ان الله تعالى ، لا يقبل المكان ، ولكنه اقتضى أن يخلق سماء جعله عرشا ، ثم ذكر أنه استوى عليه ؛ حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج ، ولا يبقى العبد حائرا لا يدرى أين يتوجه ؛ لأن العبد خلقه الله ذا جهة ، فنسب الحق الفوقية لنفسه من سماء وعرش واحاطة الجهات كلها ، بقوله (فأينما تولوا فثم وجه الله) (٣) . وبقولـه (ينزل ربنا الى السماء الدنيا ، فيقول : هل من تائب ، هل من داع ، هل من مستغفر) ، ويقول عنه رسوله صلى الله عليه وسلم (ان الله فى قبلة المصلى) . (٤)

(د) الخليفة أو الامام وحكم المنزل

يرى ابن عربى أن الخليفة أو الامام اذا دخل دار أحد من رعيته ، فالأدب الالهى المعتاد يحكم عليه بأن يحكم عليه رب البيت ، فحينما اقعده قعد ؛ مادام فى سلطانه ؛ وان كان الخليفة اكبر منه واعظم ، ولكن « حكم المنزل » حكم عليه ، فرده مرءوسا . (٥) ويورد ابن عربى دليلا

---

(١) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٤٧٥ .
(٢) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٣) سورة البقرة آية ١١٥ .
(٤) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٤٧٥ .
(٥) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٤٧٥ .

نقليا ، وهو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن الرجـل فى سلطانه ، ولا يقعد فى تكرمته الا باذنه) (١) ٠

(هـ) الخليفة والحجاب

يذهب ابن عربى الى أن الخليفة أو الامام لابد أن يعطى رتبته حقها ، فلابد أن يخاطب رعيته وقومه بما تواطئوا عليه ، وأن يظهر لهم بما الفوه فى عاداتهم مع الكبير عندهم ، اذا مشى أن يحجبوه ، ومعناه : أن يكونوا له حجبة بين يديه ، ويورد ابن عربى دليلا نقليـا ، وهو قول الله تعالى : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) (٢) ٠

ويذكر ابن عربى دليلا عقليا فى هذا الشان ، فيقول : « وسبب ذلك ، أن الكبيـــر لو تقدم الجماعة ، لم يعـرف ، ولم تتوفـر الدواعى الى تعظيمه ، فاذا تقدم الحجاب بين يديه ، طرقوا له ، وتاهبت العامة لرؤيته ، وحصل فى قلوبها من تعظيمه على قدر ما يعرفونه من عظمة الحجبة فى نفوسهم فيعظم شانه ٠ (٣)

(و) عـزل الخليفة أو الامام

تتميز الحكومة الاسلامية التى يحكمها الخليفة أو الامام ، بانها تحكم بأحكام الشريعة الاسلامية ، ويرى ابن عربى أن الخليفة أو الامام اذا خالف أوامر الشريعة ، وغفل ، بلهوه وشانه ، وشارك رعيته فيما هم عليه من فنون اللذات ونيل الشهوات ولم ينظر من أحوال ما هو مامور بالنظر فى أحواله من رعاياه ، فقد عزل نفسه بفعله ٠ (٤)

ومن الثابت أن ابن عربى يرى أن الخليفة أو الامام الذى يخالف

---

(١) التكرمة : الوسادة ، وهناك مثل يطلق على كل مايعد لرب المنزل خاصة ، تكرمة له دون باقى أهله ، وهو : « لا يجلس على تكرمته » انظر ، المصباح المنير ، مادة (كرم) ٠

(٢) سورة ابراهيم آية ٤ ٠

(٣) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٤٧٥ ٠

(٤) راجع الفتوحات المكية ، المجلد الرابع ، ص ٥ ٠

شروط الاسامة ، يستحق الخلع والعزل ، فهو يقول عن الخليفة أو الامام « الا أن ظهر معه نقص فى شروط الامامة ، ولم تثبت فيه العلامة ، فليعزل من وقته قبل مقته » (١) .

ويذهب ابن عربى الى أن الخليفة أو الامام ان عاند ولم يمتثل لأمر العزل أو الخلع من أهل الحل والعقد ، فانه يحكم عليه بالقتل ، فهو يقول حول هذا المعنى :

« ليس التقدم والتأخر هنا (يقصد فى الخلافة أو الامامة) بالزمان، وانما التقدم باحصاء الشرائط ، أعنى شرائط الامامة ، ففيمن وجدت، كان المتقدم للامامة ، ويخلع من لم تكتمل فيه تلك الشرائط ويقتل ان عائد ولم يدخل فى الأمر » . (٢)

---

(١) عنقاء مغرب ، ص ٥١ .

(٢) التدبيرات الالهية ، ص ٤٩ .

سادساً

مقارنة بين نظام الحكم

(أ) نظام الحكم فى الدولة

(ب) نظام الحكم داخل الإنسان

سادساً

مقارنة بين نظام الحكم

(أ) نظام الحكم فى الدولة

يتكون نظام الحكم عند ابن عربى مما ياتى :

١ ـ الخليفة أو الامام . ٢ـ الوزيـــر .
٣ ـ القاضى . ٤ ـ الكاتب .
٥ ـ المسددين والعاملين أصحاب الجبايات والخراج .
٦ ـ السفراء والرسل ، الموجهين الى الثائرين فى الدولة .
٧ ـ القواد والأجنـــاد .

أولا : الخليفة أو الامام

الخليفة ياتى على راس الدولة ونظام الحكم فيها ، ويرى ابن عربى أن الله تعالى قد نبه عليه فى قوله تعالى :

(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة) ، وعبر الصوفية عن هذا الخليفة (أو الامام) بعبارات مختلفة ، لكل عبارة منها معنى ، فمنهم من عبـر عنه بالامام المبين ، ومنهم من عبـر عنه بالعرش ، ومنهم من عبر عنه بمرآة الحق ، الى أشباه ذلك . (١)

وسوف نوضح ذلك فيما يلى :

(أ) الامام المبيـن :

يرى ابن عربى أن الامام المبين هو اللوح المحفوظ ، وهو الانسان الكامل ، وأن الذى حمل هؤلاء الصوفية على تسميته بذلك قوله تعالى (وكل شىء أحصيناه فى امام مبين) (٢) ، ويسمى أيضـا باللوح المحفوظ فى قوله تعالى :

---

(١) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .
(٢) سورة الأعراف اية ١٤٥ .

(وكتبنا له فى الألواح من كل شىء) (١) . وحول هذا المعنى يقول ابن عــربى :

« الامام المبين ، وهو اللوح المحفوظ ، المعبر عنه بكل شىء ، فى قولــه تعالى (وكتبنــا له فى الألواح من كل شىء ، وهــو اللوح المحفوظ ؛ والذى حملهم على ذلك قوله تعالى : (وكل شىء أحصيناه فى امام مبين) ، ووجدنا العالم كله (أسفله وأعلاه) ، محصى فى الانسان فسميناه الامام المبين » (٢) .

ويرى ابن عربى أن الامام المبين استوجب الامامة بأسرار وصفات هو عليها ، فقلنا ، هى من نفسه أو من غيره ، فوجدناها أمانة بيده ، فقرأنا (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) . (٣)

ويعتقد ابن عربى أن الامام المبين ما أودع فيه الا علوما متناهية ، فنظرنا ، هل ينحصر لأحد عددها ؟ فخرجت عن الحصر ؛ مع كونها متناهية ، وأنه ليس فيه (أى فى الامام المبين) الا ما كان من يوم خلق الله العالم الى أن ينقضى حال الدنيا وتنتقل العمارة الى الآخرة » . (٤)

ويذهب ابن عربى الى أن الحق تعالى كتب للخلفاء كتبا بذلك (أى : للحدود والشرائع والمراسـم) ، نزلت بها السـفراء عليهم ، ليسمعوها رعاياهم ، فيعلموا حدود ما انزل الله الذى استخلف عليهم ، فيقفوا عندها ويعملوا بها سرا وجهرا ، فمنها ما كتبه بيده تعالى ، وهو التوراة ، ومنها ما نزل به لروح الأمين عليهم من الكتاب المكنون الذى نزل من الله من عرشه ، المنقول من الدفتر الأعظم ، وهو الامام المبين ، فهو معه على عرشه ، ونقل منه اللوح المحفوظ قدر ما يقع به التصريف فى الدنيا الى يوم القيامة ، يتضمن ما فى العالم من حركة وسكون ، واجتماع وافتراق ، وأجل وعمل . (٥)

---

(١) سورة يس آية ١٢ .
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٢١ .
(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٢١ .
(٤) الفتوحات المكية ، السفر الثالث ، ص ١٤٩ .
(٥) الفتوحات المكية السفر الثالث ، ص ١٤٩ .

ولا يقضى الله قضاء فيما يرى ابن عربى الا بما سبق به الكتاب به أن يقضى ، فعلمه فى الأشياء عين قوله فى تكوينه ، فما يبدل القول لديه ، فلا حكم لخالق ولا مخلوق الا بما سبق به الكتاب الالهى ، ولذا قال (وما أنا بظلام للعبيد) ٠ (١)

ويورد ابن عربى دليلا نقليا حول هذا المعنى ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، حتى ما يبقى بينه وبين الجنة الا شبرا ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخل النار » (٢) ٠

(ب) العرش :

وعبر عنه بعض الصوفية بالعرش (أى الخليفة أو الامام) ، ويرى ابن عربى أن العرش هو الجامع للموجودات الأربعة ، وهى الطبيعة والهباء والجسم والفلك ، وأنه هو الجسم الكلى ، فهو فى الوجود المطلق كالجسم للوجود الانسانى ، باعتبار أن العالم الجسمانى شامل للعالم الروحانى والخيالى والعقلى ، الى غير ذلك ، ولذا عبر عنه ابن عربى بأنه الجسم الكلى ٠

ويعتقد ابن عربى أن العرش فلك محيط بجميع الأفلاك المعنوية والصورية ، وهو بذلك هيكل العالم وجسده ، الجامع لجميع متفرقاته ٠ وهو عبارة عن الملك ، وعمر سبحانه هذا الفلك بالملائكة الحافين ، وهم الراهبات ٠ (٣)

---

(١) سورة ق آية ٢٩ وانظر الفتوحات المكية ، ص ١٤٩ ٠

(٢) الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، ص ٤٧٦ ، والامام المبين هو الكتاب المبين ، وهو اللوح المحفوظ ، وهو النفس الكلية ، أى نفس الانسان الكامل ، ويرى عبد الكريم الجيلى أن اللوح المحفوظ عبارة عن نور الهى حقى متجلى فى مشهد خلقى ، انطبعت الموجودات فيه انطباعا أصليا ، انظر جامع الاصول ، ص ١١٤ ، وانظر أيضا . عبد الكريم الجيلى ، الانسان الكامل فى معرفة الاواخر والاوائل ، القاهرة عام ١٩٦٣م ، ص ٦ ، ٧ ٠

(٣) راجع ، محيى الدين بن عربى . عقلة المستوفز ، مطبعة بريل ، ليدن ، عام ١٣٣٩ هـ ، ص ٥٩ ٠

ويذكر ابن عربى أن الذى حمل هؤلاء الصوفية على التعبير عن الخليفة أو الامام بالعرش ، انه لما كان العرش محيطا بالعالم فى قول (بعض الصوفية) ، أو هو جملة العالم فى قول آخر ، وهو منبع ايجاد الأمر والنهى ، ووجدوا هذا الموجود - المذكور آنفا (وهو الخليفة) يشبه العرش من هذا الوجه ، أعنى الايجاد والاحاطة ، فكما أن العرش محيط بالعالم ، وهو الفلك التاسع فى مذهب قوم (بعض الصوفية ، كذلك هذا الخليفة ، محيط بعالم الانسان . (١)

تعقيب :

يذكر ابن تيمية رأى بعض المتاخرين الذين نظروا فى علم الهيئة وغيره من أجزاء الفلسفة ، الذين رأوا أن الأفلاك تسعة ، وأن التاسع - وهو الأطلس - محيط بها ، مستدير كاستدارتها ، ويرى ابن تيمية أن هؤلاء قالوا بطريق الظن أن العرش هو الفلك التاسع ؛ لاعتقادهم أن ليس وراء ذلك التاسع شىء ، اما مطلقا واما انه ليس وراءه مخلوق ، ثم ان منهم من رأى أن التاسع هو الذى يحرك الأفلاك كلها ؛ فجعلوه مبدأ الحوادث . (٢)

(ج) مرآة الحق والحقيقة

وعبر بعض الصوفية عن الخليفة أو الامام بمرآة الحق والحقيقة ، ويعتقد ابن عربى أن الذى حمل هؤلاء الصوفية على هذا التعبير ، أنهم لما رأوه (أى الخليفة أو الامام) موضع تجلى الحقائق والعلوم الالهية والحكم الربانية ، ولأن الباطل لا سبيل له اليها ؛ اذ الباطل هو العدم المحض ، ولا يصح فى العدم تجل ولا كشف . (٣)

(د) المادة الأولى :

ويذهب ابن عربى الى أن بعض الصوفية عبروا عن الخليفة أو الامام

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٢٤ .

(٢) راجع ، ابن تيمية (تقى الدين) ، رسالة عرش الرحمن ، مجموعة الرسائل والمسائل ، مطبعة لجنة التراث العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ ، حـ٤ ، ص ١٠٤ .

(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٢٥ .

(بالمادة الأولى) ، كما يرى أنه كان الأولى ان يطلقوا عليه ، (الممد الأول) فى المحدثات .

ويذكر ابن عربى أن بعض الصوفية قد أطلقوا عليه (المادة الأولى)، لأنه أول موجود مخلوق من غير سبب متقدم ، ثم صار سببا لغيره ، ومادة له ، وأنه خلق من غير واسطة سبب ، وجعله الله تعالى سـببا لخلق شىء آخر . (١)

(هـ) المعلم الأول :

وعبر بعض الصوفية عن الخليفة أو الامام بالمعلم الأول ، ويرى ابن عربى أنهم أطلقوا عليه هذه العبارة ؛ لأنه لما تحققت عندهم خلافته، وأنه حامل للأمانة الالهية ، ونسبته من العالم الأصغر ، نسبة آدم من العالم الأكبر ، وقد قيل فى آدم (وعلم آدم الأسماء كلها) (٢) ؛ كذلك هـــذا الموجود . (٣)

ويستطرد ابن عربى حديثه حول هذا المعنى قائلا ان الله تعالى ، خاطب الملائكة ، فقال (انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا) (٤) ، فأمر الخليفة أن يعلمهم ما لم يعلموا ، فأمرهم الله سبحانه بالسجود لمعلمهم ، سجود أمر ـ كسجود الناس الى الكعبة ؛ وتشريف ، لا سجود عبادة . (٥)

ويرى ابن عربى أن ثمرة هذا السجود التواضع والخضوع ، والاقرار بالسبق والفخر والشرف والتقدم له ، كتواضع التلميذ لمعلمه . (٦)

(و) مركز دائرة الكون :

وعبر بعض الصوفية عن الخليفة أو الامام بمركز الدائرة ، ويثبت

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٢٢ .
(٢) سورة البقرة اية ٣١ .
(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٢٤ .
(٤) سورة البقرة اية ٣٢ .
(٥) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٢٤ .
(٦) التدبيرات الالهية ، ص ١٢٤ .

ابن عربى بالدليل العقلى ، السبب الذى حملهم على ذلك ؛ أنهم لما نظروا الى عدل هذا الخليفة فى ملكه ، واستقامة طريقته فى هباته وأحكامه وقضاياه ، سموه مركز دائرة الكون ؛ لوجود العدل به (١) .

ويذكر ابن عربى وجه الشبه بين عبارة (مركز دائرة الكون) ، والخليفة أو الامام ، وهـو العدل ، فكل خط يخـرج من النقطة الى المحيط ، مساويا لصاحبه ، ورأوا (أى : الصوفية) ذلك غاية العدل ، فسموه مركز الدائرة . (٢)

ثانيا : الوزيــــر :

يذكر ابن عربى أنه لا يستقيم أمر الخليفة أو الامام فى ملكه الا لوزير يدبر أمره ، وهذا الوزير يكون همزة الوصل بين الخليفة أو الامام ، والرعية ، يقول ابن عربى فى هذا الشأن « جرى التدبير الحكمى فى العادة أن لا يستقيم أمر ملك فى ملكه الا بوزير يدبره ، يكون واسطة بين الملك والملوك » (٣) .

ويؤكد ابن عربى على أن هذا الوزير هو الملجأ ؛ فانه يلجأ اليه فى جميع الأشياء ؛ اذ هو لسان الخليفة والمنفذ عنه أوامره ، فلهذا صح عليه اسم الوزارة ، وأوجده البارى فى ثانى مقام من الامام ، وانزله من الخليفة منزلة القمر من الشمس . (٤)

ويقرر ابن عربى أن الوزير تراه عند حضور الملك وتجليه ، ليست له تلك الصولة ، ولا يبصر ؛ لأن الأمر هناك صادر عن الامام ؛ بارتفاع الوسائط ، وهيبة المشاهدة عظيمة ، وحظها من كتاب الله ، قوله تعالى (لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار) (٥) . فمتى احتجب الخليفة كان للوزيــر الظهور ، وانفــاذ الأوامر والاعطاء والمنح ؛ اذ هو لســان الخليفة والمترجم عنه .

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٢٨ .
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٢٨ .
(٣) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٥٧ .
(٤) التدبيرات الالهية ، ص ١٥٨ .
(٥) سورة غافر آية ١٦ . وانظر ص ١٥٨ من التدبيرات الالهية .

ويشبه ابن عربى الوزير بالنسبة للخليفة كالقمر بالنسبة للشمس ، فهو يقول : « الا ترى القمر اذا حصل فى قبضة الشمس ، ليس له نور ولا ظهور ؛ لاستيلاء الشمس عليه » ٠ (١)

ثالثا : القاضى :

يذهب ابن عربى الى أن القاضى ما ولى مدينة قط ، ولا مملكة الا ظهرت فيها البركة ، ونمت الأرزاق ، وعمت الخيرات جميعها ، وهو موجود محمود محبوب على ممر الدهر والأعصار ، وهو الميزان الموضوع فى الأرض ، وبه يكون الفصل فى العرض الأكبر بين العباد ، وهو الحاكم فى ذلك اليوم ٠ (٢)

رابعا : الكاتب :

عليك بكاتب لبق رشيق ذكى ، فى شمائله حرارة
تناجيه بطرفك من بعيد فيفهم رجع لحظك بالاشارة (٣)

ويؤكد ابن عربى على أن الكاتب موجود لطيف كريم شريف ، وأنه أول من خط بالقلم ٠ وهو يصف قلمه ولوحه قائلا :

قلمى ولوحى فى الوجود يمده قلم الاله ولوحه المحفوظ
ويدى يمين الله فى ملكوته
ما شئت اجرى والرسوم حظوظ (٤)

والكاتب فيما يرى ابن عربى ، انما يكتب من الخزانة المحمدية ، وهى التى (يفرق فيها كل أمر حكيم) (٥) ٠ فيؤخذ ذلك الأمر من الخزانة المحمدية ، على ما وضع لمتعلقه ، فان كان حمدا فهو ذلك ، فيحصل عند ذلك للكاتب علما وعينا ٠ (٦)

ويذكر ابن عربى شروط وصفات الكاتب ، فهو يرى أن هذا الكاتب

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٥٨ ٠
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٥٦ ٠
(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٦ ٠
(٤) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٧ ٠
(٥) سورة الدخان آية ٢٤ ٠
(٦) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٨ ٠

موجود شريف ، اصطنعه الخليفة لنفسه ، واتخذه سميرا لأنسه ، فمما يجب عليه أن يكون حسن الخلق صبورا ، حمولا للأذى ، كاتما للأسرار الملكوتية ، فصيحا بليغا ، يستدرج المعانى الكثيرة فى عبارات وجيزة تنبىء عنها ، صريحا ، لا يسوق نصا فى كتابه الا فى مقام يأمن عقابه ، فان لم يأمن عقابه ، فليسبق من الفاظ فى كتابه ، ما يحتمل معنيين فصاعدا ؛ حتى لو ظهر على الامام فى بعض كتبه شىء يعطيه أحد محتملات اللفظ ، وكره الامام ذلك ، عدل الامام الى الاحتمال الثانى الذى يحتمله ذلك اللفظ . (١)

ويذهب ابن عربى الى أن اللوح هو محل الكتابة ، فلنسمه الكتاب، ونقول انه ينقسم قسمين ، كتاب مرقوم ، وكتاب مسطور ، قال الله تعالى (والطور وكتاب مسطور) (٢) ، وقال : (كتاب مرقوم) (٣) ، فاقسم بالمسطور ، واخبر عن المرقوم أنه فى محلين ؛ فى سجين وفى عليين ، فالمسطور فى عالم الأرواح ، والمرقوم فى عالم الغيب والشهادة ، ومن جانب الحقائق أن المرقوم هو المسطور عينه من جانب الكشف الصحيح ، لكن لما لم يعاين منه الملأ الأعلى الا الوجه الواحد الذى من قبلها ، وهو عالم الأمر ، كان مسطورا ، ولما كان الانسان قد جمع العلو والسفل ، أشرف على الوجهين فكان له مرقوما . (٤)

ويوصى ابن عربى الخليفة أو الامام ان يراعى حرمة الكاتب ويتحبب اليه ، بقوله : يأيها السيد تفطن لهذا الكاتب ، فانه وان كان لك منصب الامامة ؛ فله منصب الخطابة ، لا تستقل بها دونه ، فهو الامام فيها . (٥) ويقول له كذلك : فراع حرمته ، فهو صاحب طابعك ، والمخاطب عنك ، فتحبب اليه ، والا فسد ملكك ؛ فان الوزير مفتقر اليه ، وغايتك وغاية وزيرك تدبير حضرة مسكنك ؛ وكتبه تمشى فى باديتك بما يريده ، لا بما تريده أنت . (٦)

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٩ .
(٢) سورة الطور آية ١ .
(٣) سورة المطففين آية ٩ .
(٤) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٠ .
(٥) التدبيرات الالهية ، ص ١٨١ .
(٦) التدبيرات الالهية ، ص ١٨١ .

خامسا : المسددين والعاملين اصحاب الجبايات والخراج

يوصى ابن عربى الخليفة أو الامام باتخاذ العاملين من أصحاب الجبايات والخراج ، فانه لما كان الخليفة لا يتمكن أن يباشر الأشياء بنفسه ، فان ابن عربى يقول له حول هذا المعنى :

« ينبغى لك أيها الامام الكريم ؛ اذ لا تتمكن أن تباشر الأشياء بنفسك ، أن تجعل الأمر متحدا ، فتنظر فى أمين ، ثقة ، قوى الجاش ، ينظر فى استخراج هذه الجبايات من أيدى الرعية على طريق العدل والسياسة ؛ فانك لا بقاء لك دون بيت مال ، ولا غنى عنه البتة ، وأنت مطالب بجميع ما تطلبك الرعية بالرفق وحسن المعاشرة ، ويطلبك من استخلفك بامتثال الأمر وتمشية العدل ، فاحذر هذين المقامين ، ولا تول مسددا ، ولا عاملا ، الا عارفا بقدر ماله ، وعليه شحيحا ، وليكن واحدا؛ فان الكثرة تؤدى الى الفساد فى الأمر الواحد ؛ فانك ان وليت أكثر من واحد ، طلب كل واحد منهم الجاه عندك ، والظهور على صاحبه ، فيظهرون الاجتهاد ، والرعية ضعيفة ، فربما حملوا عليها ما لا تحتمل ؛ فيكون ذلك سببا الى قطيعتهم وهلاكهم » ٠ (١)

ويجب على الخليفة أو الامام فيما يرى ابن عربى أن يختار مسددا، له وزعين يمشون معه ، يقيم ميزان العدل ، وهو يوصى الامام بقوله : فصم وافطر ، وقم ونم ، وقد اخترت لك مسددا ، لن تعدم خيرا ، مادام معك ، وقد نظرت له فى وزعة يمشون معه ، فابعثه على هذه الجبايات بوزعته ؛ فانك تحمد سيرته ، وتشكر بصيرته ٠ (٢)

ويستطرد ابن عربى حديثه حول هذا الشان قائلا :

« فانه (أى المسدد) اذا دخل الى عمالتك ، مع وزعته ، اقام ميزان العدل وحسن السياسة ، فانه نافذ البصيرة ، يعرف خبث الرعية ومكايدها ؛ فياخذ ما يجب له ، وبكلف على قدر المصلحة والوسع ، ولم

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٦ ٠

(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٦ ٠

يجـاوز ، فاعتمد عليه وأمـره على ما ذكرنـاه من الرؤساء أصـحاب الخـــراج » . (١)

سادسا : القواد والأجناد والحروب وترتيب الجيوش

الاجناد هم الجنود الذين يدافعون عن الملك ، وهم الأوتاد الذين يمسكونه ، فهم يدافعون عن الوطن ضد الأعداء ، وهم الأعمدة التى يقوم عليها قسطاط الملك فيما يرى ابن عربى .

ويوصى ابن عربى ، الامـام أو الخليفة أن يحافظ على ذاتـه ، ويقصد مكانا حصينا ويجعله موضع سكنه ، فيقول له :

« عليك أيها السيد الكريم بالمحافظة على ذاتك الشريفة فاقصد انزه موضع عندك وأحصنه فالزمه واجعله موضع سكناك . (٢)

ولا يجب على الخليفة أو الامام ان يباشر الحروب بنفسه ، فيما يرى ابن عربى ، فهو يقول له : « لا تباشر الحروب بنفسك ؛ فانك ان هلكت ، هلك ملكك ، وان بقيت بقى حضرتك توجه لمباشرة الحرب بعض قوادك وأمرائك . الذين ذكرناهم ورتبناهم لك - فان هزموا ، بقيت انت وبقى ملكك وعندك من الرجال والأجناد بما تمدهم . (٣)

ويتبه ابن عربى الخليفة أو الامام بالأصل بالنسبة للشجرة ، والقواد والجنود بالفرع ، فهو يقول للحليفة :

« الا ترى اذا يبس الفرع وهلك ، جبره الأصل وتفرعت الشجرة ، وان هلك الأصل ، فسدت الشجرة كلها ، فالملك أصل ملكه ، فببقائه وعدله بقاء ملكه ،وبهلاكه وجوره هلاك ملكه ، والدولة جسم،وروحه الملك، فمتى هلك الروح هلك الجسم ، واذا انفسد فى الجسم شىء ، والروح باق ، أصلحه الطبيب ، والتدبير هو طبيبك ، فحافظ على نفسك ، ولا تباشر بها عدوك » (٤) .

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٦ .
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٩٢ .
(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٩٦ .
(٤) التدبيرات الالهية ، ص ١٩٦ .

سابعا : السفراء والرسل الى الأعداء

يؤكد ابن عربى على أن الرسول دليل على مرسله ومنزلته ، فان كان صاحب فطنة وذكاء وشجاعة ووفاء وسخاء وصدق وأمانة وعلم بالحجة ومواقع الكلام ، كان مرسله يتمتع بهذه الأوصاف ، يقول ابن عربى حول هذا المعنى : ان الحكمة قد أعطت ـ عند من غلب عليه عقله على شهوته من الملوك ـ أنه لا يوجه رسولا الى عدو من أعدائه ، الا ذا فطنة وذكاء وشجاعة ووفاء وسخاء وصدق وديانة وأمانة وعلم بالحجة ومواقع الكلام ؛ فان الرسول دليل على مرسله » ٠ (١)

ويذكر ابن عربى للخليفة أو الامام أن السفراء والرسل الى الأعداء يجب أن يتصفوا بهذه الصفات الحميدة ، بقوله :

« فهذا ينبغى أن يكون رسلك ، فافلح وربح وعظم ملك كانت رسله هؤلاء الى أعدائه ؛ فانه يعلم على الضرورة أنهم يقمعون عـدوه بالحجة القاطعة ٠ (٢)

وينبه ابن عربى الخليفة أو الامام الى نقطة هامة فى هذا الشأن على جانب كبير من الأهمية ، فهو يقول له : « فان قدمت رسل الهوى (أى الأعداء) ، الذى هو الثائر عليك ، والساعى فى فساد ملكك ، فلا تغلظ عليهم ؛ فان اهانة الرسل من عدم السياسة » ٠ (٣) ، فمن جاء منهم اليك فلا تنفر عنهم ابتـداء ، فلا تنهرهم ، وقل لهم قولا كريما ، فانك تأخذ باسماعهم وأبصارهم ، واقعد على سرير ملكك ، واخل لهم مجلسك ، وأمر وزيرك (العقل) يترجم لهم عنك » ٠ (٤)

---

(١) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٩٠ ٠
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٩٠ ٠
(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٩٠ ٠
(٤) التدبيرات الالهية ، ص ١٩٠ ٠

(ب) نظام الحكم داخل الانســـان

يقابل ابن عربى بين نظام الحكم فى الدولة ، والانسان ، ويرتب الوزارة واجهزة الحكم داخل الانسان بنفس الترتيب لأجهزة الحكم فى الدولة ، وسوف نتكلم عن ذلك فيما يلى :

اولا : الخليفة او الامام هو الروح الكلى

يعتقد ابن عربى أن الخليفة أو الامام هو الروح الكلى فى الانسان، وان البدن هو الدولة ، يقول حول هذا المعنى :

« الخليفة الذى هو ملك البدن ، واغراض الصوفية فيه ، وتعبيرهم عنه ، وهو الروح الكلى » ٠ (١)

ويرى ابن عربى أن الله تعالى قد نبه عليه فى قوله تعالى :

(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة) ، واعتباره فى العالم الأصغر (الانسان) ، استخلاف الروح فى أرض البـــدن ٠ ويذهب ابن عربى الى أن الروح ، هى أول موجود أوجده الله تعالى ، وانها جوهر روحانى بسـيط ، فرد ، غير متحيـز فى مذهب بعض الفلاسفة والصوفية ، ومتحيز فى مذهب البعض الآخر ٠ ويعترض على من قال انه لا يصدر عن الواحد الا واحدا ، فهو يقول :

« لو كان هكذا ؛ لكانت الارادة (الالهية) قاصـرة ، والقدرة ناقصـة ؛ اذ وجود اشـياء متعددة دفعة واحدة ممكن لنفسـه ، غيـر ممتنـــــع » ٠ (٢)

---

(١) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٢٠ ٠

(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٢٠ ٠

ويذهب ابن عربى الى أن بعض الصوفية ، ومنهم الغزالى ، ذكر أن هذا الخليفة الذى هو الروح ، من عالم الأمر وليس من عالم الخلق اصطلاحا ، واحتجوا بقوله تعالى (قل الروح من أمر ربى) (١) وأنهم أرادوا بعالم الأمر : كل من صدر عن الله بلا واسطة الا بمشافهة الأمر العزيز ، وهو السبب الثانى بالاضافة الى الوجود المطلق ، والسبب الأول بالاضافة الى الوجود المقيد ، فهو أول فى المبدعات ، وعالم الخلق : كل موجود صدر عن سبب متقدم من غير مشافهة الأمر ، التى هى (الكلمة) ، قال الله تعالى (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (٢) ، اشارة الى انه سيد العالم وخالقه ومربيه . (٣)

ويذكر ابن عربى أنه لما أوجد الله تعالى هذا الخليفة ، قال له : « أنت المرآة ، وبك ننظر الى الموجودات ، وفيك ظهرت الأسماء والصفات ، أنت الدليل على ، وجهتك خليفة ، فى عالمك تظهر فيهم بما أعطيتك ، تمدهم بأنوارى ، وتغذيهم بأسرارى ، وأنت المطالب بجميع ما يطرأ فى الملك » . (٤)

وروح الأمر فيما يرى ابن عربى ، هو قول الله سبحانه : (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) (٥) ، وقوله : (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده)(٦) . فعلوم الغيب تنزل بها الأرواح على قلوب العباد ، فمن عرفهم (أى عرف الأرواح) ، تلقاهم بالأدب ، وأخذ منهم بالأدب . (٧)

وخلاصة القول : ان الروح عند ابن عربى هو الخليفة على أرض البدن بالنسبة للانسان ، وأنه من عالم الأمر ، وهو الذى يلقى الى

---

(١) سورة الاسراء آية ٨٥ .
(٢) سورة الأعراف آية ٥٤ .
(٣) الدتبيرات الالهية ، ص ١٢٢ .
(٤) التدبيرات الالهية ، ص ١٣١ .
(٥) سورة الشورى آية ٥٢ .
(٦) سورة غفر آية ١٥ .
(٧) الفتوحت المكية ، حـ ٢ ، ص ٥٦٨ .

القلب علم الغيب ، وهو الذى يظهر فيه الأسماء والصفات الالهية ، وانه يمد العالم بالأسرار الالهية ، وهو المرآة التى بها ينظر الحق تعالى الى الموجـودات .

مدينة الخليفة ، التى يسكنها الرعية فى الدولة هى البدن أو الجسم

يذكر ابن عربى أن الله سبحانه لما أوجد هذا الخليفة الذى ذكرناه آنفا ، (وهو الروح الكلى) ، بنى له مدينة يسكنها رعيته وأرباب دولته، تسمى حضرة الجسم أو البدن . (١)

والقلب مكان وموضع الخليفة الذى هو الروح ، ويرى ابن عربى أن الروح اما أن يسـتقر فى القلب ، على مذهب مـن أثبت أن الروح متحيز ، واما ان يحل فيه على مذهب من قال ان الروح قائم بمتحيز ، واما أن يكون القلب موضع أمر الروح ونهيه ونفوذ أحكامه وقضاياه ، على مذهب من أثبت انه غير متحيز ولا قائما بمتحيز . (٢)

ويقـرر ابن عربى أن بعض الصـوفية قد قالوا بأن الدماغ مكان الخليفة الذى هو الروح وموضعه ، ويقيم ابن عربى الدليل النقلى على أن المكان هو القلب وليس الدماغ ، فهو يقول « والأظهر عندى مـن طريق التنبيه والاستقراء ، لا من جهة البرهان ، أنه القلب شرعا ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه (ما وسعنى أرضى ولا سمائى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن) ، وقال (ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولا الى أعمالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم) ؛ وذلك أن المستخلف انما نظره أبدا الى خليفته ، ما يفعله فيما قلده ، والله سبحانه قد استخلف الأرواح على الأجسام ؛ ومما يؤيد ما ذهبنا اليه ، قوله تعالى (ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) (٣) ، وليست الاشارة للقلب النباتى ، فان الأنعام يشاركوننا فى ذلك ، لكن للسـر المودع فيه ، وهو الخليفة ، والقلب النباتى (قصره) ، وقال صلى الله عليه وسلم (ان فى الجسد

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٣١ .
(٢) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٣١ .
(٣) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٣٣ .

مضغة ، اذا صلحت صلح سائر الجسد ، واذا فسدت فسد سائر الجسد ، الا وهى القلب) ، فالقلب النباتى لا فائدة له الا من حيث هو مكان لهذا السـر . (١)

وللخليفة الذى هو الروح متنزها يسمى الدماغ ، وهو موجود فى مكان عال مشرق فى هذه المدينة التى هى البدن ، كما أن له طاقات فى هذا الدماغ يشرف منها على ملكه ، وهى الأذنان والعينان ، والأنف والفم . كما ان له فى مقدم هذا المتنزه الذى هو الدماغ خزانة الخيال ، جعلها مكان الجبايات الخاصة بالمبصرات والمسموعات والمشمومات والملموسات ، والمرائى والأحلام التى يراها النائم . (٢)

ويوجد فى وسط المتنزه ، خزانة الفكر ، الذى ترتفع اليه المتخيلات فيقبل منها الصحيح ، ويرد الفاسد . كما يوجد فى آخر هذا المتنزه الذى هو الدماغ ، خزانة الحفظ . (٣)

ثانيا : الوزير ، وهو العقل

أوجد الله سبحانه لهذا الخليفة أو الامام ، الذى هو الروح ، هذا الوزير ، الذى يقال له العقل ، ويذكر ابن عربى السبب فى تسميته عقلا فهو يقول : « سمى عقلا ؛ لأنه يعقل عن الله تعالى كل ما يلقى اليه وهو على المملكة ، كالعقل على الدابة ؛ يحفظها حـذر الحران ؛ ولهذا سماه عقلا .

ويذهب ابن عربى الى أن الخليفة أو الروح ، اصطفى العقل له وزيرا ، فعيلا يحتمل أن يكون من الوزر ، والوزر ، وكلاهما موجود فيه ، فان كان من الوزر الذى هو الثقل ؛ فانه حامل اثقال المملكة واعبائها ، وان كان من الوزر الذى هو الملجأ ، فانه يلجأ اليه فى جميع الأشياء ؛ اذ هو لسان الخليفة ، والمنفذ عنه أوامره ؛ فلهذا المعنى صح

---

(١) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٣٣ .
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٣٣ .
(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٥٧ .

عليه اسم الوزارة » . (١)

ويوضح لنا ابن عربى كيفية معرفة العقل الذى هو الوزير ، لتدبير الملك واصلاحه ، بقوله : « اذا أراد العقل معرفة شىء فى تدبير الملك واصلاحه ، افتقر عند ذلك الى مشاهدة الامام فعند المشاهدة يلوح له المراد فيه ، فيقوم له التجلى منزلة الخطاب من الملك الى الوزير ؛ اذ المراد حصول العلم ؛ وبهذا يعبر عن مخاطبة المعقولات » . (٢)

فاذا حصل العقل آثار العلوم فى قلبه من فيض الروح الكلى ، عبرنا عنه بالكلام والقول والخطاب . (٣)

فلما أوجد الله تعالى العقل الذى هو الوزير على هذه الصفة ، جعل مسكنه الدماغ ؛ ليشرف على اقطار المملكة ، وأن يكون قريبا من خزانة الخيال ، التى هى مستقر جبايات البادية ، وقريبا من خزانة الفكر والحفظ ، حتى يقرب عليه النظر فى جميع مهماته . (٤)

ويؤكد ابن عربى على أن العقل اذا هلك وفسد مكانه وهو الدماغ ؛ فان مدينة الجسم تخرب ، ولا يستطيع الروح على اصلاحها ، وحول هذا المعنى يقول ابن عربى :

« ألا ترى اذا اتفق فى العقل شىء وهلك بفساد محله كيف تخرب مدينة الجسم ؟ ولا يقدر الروح على تلفيقها » . (٥)

ويوصى ابن عربى الخليفة أو الامام أن يقرب العقل ويشاوره ، بقوله : « فمتى هممت بامضاء أمر فى ملكك فقرب العقل ، وتدبر معه وشاوره ، وانظر الى ما يصدر عنه فيه ، واعمل بما يشير به عليك ، فان الله تعالى قد أودع الصواب فى رأيه . (٦)

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٥٨ .
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٦٠ .
(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٦٠ .
(٤) التدبيرات الالهية ، ص ١٦٠ .
(٥) التدبيرات الالهية ، ص ١٦٠ .
(٦) التدبيرات الالهية ، ص ١٦٠ .

ويحذر ابن عربى الخليفة أو الامام من الوهم ؛ فانه يبرز النفس على صورة العقل ، وله تاثير كبير ، وهو يستولى على الناس ، ويبعث على الأفكار الرديئة والوسوسة ، فيقول للخليفة :

« تحفظ من الوهم ؛ فان الوهم موجود يبرز النفس على صورة العقل ، فقد يلتبس عليك وهو وزير مطاع ، له في الانسان تأثير عظيم ، وهو المستولى على الناس ، والباعث على الأفكار الرديئة ، وهو يورث الوسوسة ، فتحفظ منه ، وميز وزيرك عينا واسما » . (١)

علم الوزير : الفراسة

الفراسة علم الوزير الذى هو العقل ، وهى محل كشفه واطلاعه على الخواطر الممكنة ، والأمور الغيبية ، والفراسة فيما يرى ابن عربى هى نور من أنوار الله عز وجل ، يهدى له عباده ، فهى نور الهى فى عين بصيرة المؤمن ، يعرف به ؛ اذ يكشف له ما وقع من المتفرس فيه ، أو ما يقع منه ، أوما يؤول اليه أمره . (٢)

وغاية ما تعطى الفراسة من العلوم ؛ العلم بالأخلاق المذمومة والمحمودة ، وما يؤدى الى العجلة فى الأشياء ، والريث فيها ، والحركات البدنية كلها . (٣)

ويقسم ابن عربى الفراسة الى نوعين هما : الفراسة الطبيعية أو الحكمية ، وهى فراسة الحكماء ، والفراسة الشرعية أو الايمانية أو الالهية ، وسوف نتكلم عنها فيما يلى :

اولا الفراسة الطبيعية :

يذهب ابن عربى الى ان الفراسة الطبيعية تعطى معرفة المعتدل فى جميع افعاله واقواله ، وحركاته وسكناته ، ومعرفة المنحرف فى ذلك

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٦١ .

(٢) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٦١ ، والفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٢٣٥ .

(٣) الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٢٣٥ .

كله ، فيفرق - بالنظر فى أعضائه ونشـاة كل عضو - بين الأخـرق والعاقل ، والذكى ، والفطن . (١)

ويقرر ابن عربى أن صاحب الفراسة يعرف أفعال وحركات وأقوال المتفرس فيه بواسطة علامات توجد فيه ، وهذه العلامات ، منها طبيعية مزاجية ، وهى الفراسة الحكمية ، ومنها روحانية نفسية ايمانية ، وهى الفراســة الالهية . (٢)

ويذكر ابن عربى أن الفراســة الطبيعية أو الحكمية مـن المعارف الفكرية والعلوم النظرية والأحكام التجريبية ، وانما مست الحاجة اليها؛ اذ ليس كل أحد يهده الله نور اليقين ، ويزيل حجاب الريون عن عين بصيرته ؛ فينتظم فى سلك أهل الفراسة الشرعية ؛ فلما لم يتمكن هـذا لكل أحد ؛ لكونها موهوبة من الله تعالى ، فلا يفوز بها الا الخواص من عباده . (٣)

واذا كان كل انسان عند الاضطرار الى معاشرة الناس ومخالتهم ، وليس عنده من الفراسة الشرعية ما يميز به بين اخوانه ، فان ابن عربى يذكر العلامات الطبيعية التى توجد فى المتفرس فيه ، والتى بواسطتها يستطيع أن يفرق بين العاقل ، والذكى ، والفطن ، والمخادع وما أشبه ذلك . (٤)

ثانيا : الفراسة الالهية أو الايمانية أو الشرعية :

يؤكد ابن عربى على أن الفراســة الالهية تتعلق بعلم ما تعطيـه الفراسة الطبيعية وزيادة ، وهى أنها تعطى معرفة السعيد من الشقى ، ومعرفة الحركة من الانسان ، المرضية عند الله من غير المرضية ، التى وقعت منه - من غير حضور صاحب هذا النور (يقصد صاحب الفراسة

---

(١) راجع الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٢٣٢ .

(٢) الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٢٣٥ .

(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٦٢ .

(٤) راجع حول هذه العلامات الطبيعية ، الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٢٣٨ وما بعدها ، والتدبيرات الالهية ، ص ١٦٢ وما بعدها .

الالهية) ، فاذا حضر بين يديه بعد انقضاء زمان تلك الحركة ، وقد ترك ذلك العمل فى العضو الذى كان منه ذلك العمل ، (علامة) لا يعرفها الا صاحب الفراسة ، فيقول فيها بحسب ما كانت الحركة ، من طاعة أو معصية . (١)

والفراسة الالهية أو الشرعية لها علامات كما ذكرنا ، وهذه العلامات ظاهرة فى الحس ، بينها وبين عالم الغيب ارتباط ، وهذا علم (علم الفراسة الالهية) موقوف على الذوق ، خلاف الفراسة الحكمية ؛ فانها موقوفة على التجربة والعادة ، وقد لا تصدق ، وهذا (أى علم الفراسة الالهية) لا سبيل عند أهل هذا الشان الى تكذيبه ؛ فانه نور الله تعالى، فلا يعطى الا الحقائق (٢)

ويوضح ابن عربى الفراسة الالهية أو الايمانية بدليل نقلى ، فهو يقول فى هذا المعنى : « كما اتفق لعثمان رضى الله عنه ، وذلك أنه دخل عليه رجل ، فعندما وقعت عليه عينه ، قال : ياسبحان الله ، ما بال رجال لا يغضون أبصارهم عن محارم الله ، وكان ذلك الرجل قد ارسل نظره فيما لا يحل له ، اما فى نظره الى عورة انسان ، أو نظر فى قعر بيت مسكون ، وما اشبه ذلك ، فقال له الرجل : أوحى بعد رسول الله ؟ فقال : لا ، ولكنها فراسة ، الم تسمع الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) ، وعندما دخلت على ، رايت ذلك فى عينيك . (٣)

ويعرف ابن عربى الفراسة الالهية أو الايمانية بانها نور الهى يعطاه المؤمن لعين البصيرة ، يكون كالنور لعين البصر ، وتكون العلامة فى المتفرس فيه كنور الشمس ـ ى تظهر به المحسوسات للبصر ، فكما يفرق البصر بما فيه من النور ، وبما كشف له نور الشمس من المحسوسات فيعرف صغيرها من كبيرها ، وحسنها من قبيحها ، وأبيضها من أسودها

---

(١) الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٢٣٢ .
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٣ .
(٣) راجع الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٢٣٥ .

من احمرها من اصفرها ، ومتحركها من ساكنها ، وبعيدها من قريبها ، وعاليها من أسفلها ، كذلك نور الفراسة الايمانية . (١)

ويبين ابن عربى أن هذه العلامات الموجودة فى ظاهر الموجودات انما هى حجب ، نصبها الله تعالى لأعين الغير ، وأن هذا الحجاب الالهى لا يمكن رفعه عقلا ولو بلغ المرء على الغايات ، بدليل أن هذا الحجاب انما هو العلم الأزلى المتعلق بمعلومات غير متناهية ، وكل ما حصره الوجود فهو منتهاه ، ولا تكشف البصيرة الا ما دخل فى الوجود بوجه ما ، من أوجه مراتب الوجود . (٢)

وكما أن البصر لا يدرك عالم الشهادة ما لم يرتفع عنه حجاب الظلمة أو ما أشبهه من الموانع ، فاذا ارتفعت الموانع وانبسطت الأنوار على المحسوسات ، وأدرك البصر المبصرات ، فادراكها مقرون بنـــور البصر ونور الشمس أو السراج وأشباهها من الانوار ، كذلك عين البصيرة، حجابها الريون والشهوات وملاحظات الأغيار ، الى مثل هذه الحجب ، فتحول بينها وبيــن ادراك الملكوت ـ أعنى عالـم الغيب ـ فاذا عمد الانسان الى مرآة قلبه وجلاها بأنواع الرياضات والمجاهدات حتى زال عنها كل حجاب ، واجتمع نورها مع النور الذى ينبسط على عالم الغيب، وهو النور الذى يتــراءى به أهل الملكوت ، وهو بمنــزلة الشمس فى المحسوس ، اجتمع عند ذلك نور عين البصــيرة مع نور التمييــز ، فكشف المغيبات على ما هى عليه . (٣)

ويوضح ابن عربى أن عالم الملكوت (أى عالم الغيب) ، هو المحرك لعالم الشهادة ، وهو تحت قهره وتســخيره ؛ حكمة من الله تعالى ، لا لنفسه استحق ذلك ، فعالم الشهادة لا تصدر منه حركة ولا سكون ولا أكل ولا شرب ولا كلام ولا صمت ، الا عن عالم الغيب ؛ وذلك أن الحيوان

---

(١) الفتوحات المكية ، المجلد الثانى : ص ٢٣٦ .
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٣ .
(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٣ ، والريون جمع الران ، وهو الغطاء ، انظر المصباح المنير ، مادة ران .

لا يتحرك الا عن قصد وارادة ، وهما من عمل القلب ، وهو (أى القلب) من عالم الغيب ، والحركة وما شاكلها من عالم الشهادة . (١)

ويبين لنا ابن عربى ان عالم الشــهادة فيما يرى ، ما ادركناه بالحس عادة ، وعالم الغيب ، ما ادركناه بالخبر الشرعى أو النظــر الفكرى فيما لا يظهر للحس عادة . (٢) كما يذكر ابن عربى أن الفراسة الإلهية أو الايمانية ، أعلى درجات المكاشفة (٣) .

ثالثا : القاضى : وهو « العدل » :

قاضى المدينة هو القائم باحكامها ومنفذ قضــاياها ، وهو يقابل العدل فى الانسان ، ولذلك يوصى ابن عربى الخليفة أو الامام باتخاذ القاضى حكما عادلا ، فيقول له « ينبغى لك ، ان أردت بقاء مملكتك عليك ، والظفر باعــدائك ، أن يكون متولى أحكام رعيتــك ، ومنفذ قضاياك (العدل) » (٤) .

ويؤكد ابن عربى على أن الملك جسد ، روحه العدل ، ومتى لم يكن العدل خرب الملك ، وهو يوصى الخليفة ان يجعل العدل حاكما على النفس والأهل والأصحاب والعبيد ، قائلا له :

« اجعل العدل حاكما على نفسك وأهلك ورجلك وخولك وعبيدك واصحابك ، وجميع من توجه اليه حكمك ، وفى كلامك وفعلك ظاهرا وباطنــــا . (٥)

---

(١) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٧٠ .

(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٣ ، والمكاشفة عند ابن عربى متعلقها المعانى وهى على ثلاثة معان ، مكاشفة بالعلم ، ومكاشفة بالحال ، ومكاشــفة بالوجد واعلاها المكاشفة بالحال ، مثال ذلك أن تشاهد ذاتا ما ، على حال خاص من حركة أو سكون أو صفة ، ملائمة طبع الناظر او غير ملائمة ، فتعرف من ذلك الحال أمرا زائدا ، وهو أن ذلك الحال يؤدى – فى حق المدرك له – ودا او بغضا او كراهة ، راجع الفتوحات المكية ، المجلد الثانى ، ص ٤٩٧ ، ٤٩٨ .

(٤) التدبيرات الالهية ، ص ١٥٦ .

(٥) التدبيرات الالهية ، ص ١٥٧ .

رابعا : الكاتب ، وهو « اليمين »

الكاتب صفة لطيفة علمية تسمى (اليمين) ، لها عين ، ومادتها من عليين ، وهو مقام الأبرار صاحب الشراب المزوج ، ويرى ابن عربى ان الكاتب شرابه ممزوج ؛ لأنه امتزج بعين المقربين ، وهو (العقل)٠(١)

ويذهب ابن عربى الى أن الله تعالى جعل فى المملكة الكبرى لوحا محفوظا ، وقلما عليا ، بيمين مقدسة عن التاليف والتغيير ، فنفذ أمر الارادة بالعلم ، من الحق الى اليمين ؛ بتحريك القلم على سطح اللوح المحفوظ بعلم ما كان ، ما هو كائن ، وما يكون ، وما لا يكون ٠ (٢)

ويوضح لنا ابن عربى ترتيب ظهور أمر الامام من عالم الغيب الى عالم الشهادة ، فيقول : « اذا أراد الامام أن يظهر أمرا من الملكوت الى عالم الشهادة ، تجلى للقلب فانشرح الصدر ؛ وذلك عبارة عن كشف الغطاء ، فارتقم فيه مراد الامام ، وذلك القلب هو مرآة العقل ، فرأى العقل فى مرآته ما لم يكن رآه قبل ذلك ، فعرف أنه مراد الامام ، فاستدعى الكاتب فاطلعه على المراد ، وقال له : أكتب فى ذات النفس كذا وكذا ، فاذا حصل فى النفس ، خرج على الجوارح » (٣) ٠

ولما كانت اليمين ، الكاتبة ، فانها تفتقر الى قلم ، ودواة ، واستمداد ، ولوح يقع فيه الخط ، فيما يرى ابن عربى ٠ (٤)

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٧ ٠

(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٧ ٠

(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٧ ٠

(٤) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٨٠ ٠ ويذكر ابن عربى أن الله تعالى جـ اللوح والقلم بمنزلة كتاب الملك ، وما يسطر فيه من أحكامة ، وما حكم بنقضه وابرامه وايجاده واعدامه ، وما يخرج من بره وانعامه ، وما يكون من ثوابه وانتقامه ، انظر، محيى الدين بن عربى ، شجرة الكون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة عام ١٩٦٨ ، ص ٦ ، والقلم الأعلى عند ابن عربى هو العقل الاول ، فأول ما أوجد الله من عالم العقول المدبرة جوهر بسيط ليس بمادة ولا فى مادة ، عالم بذاته فى ذاته ، علمه ذاته ، لا صفة له ، مقامه الفقر والذلة والاحتياج الى بارئه وموجده ومبدعه ، كما يرى ابن عربى أن القلم الأعلى أول عالم التدوين والتسطير ، وهو الخازن الحفيظ =

ومن صفات الكاتب فى كتابته ، فيما يرى ابن عربى ، أنه لا يستعمل فى كتابته الا الألفاظ الصقيلة ، المعتادة ، الخطابية ، التى بها وقع فى النفس وتعلق بالقلب ، وأن يبدأ فى سجلاته بالحمد والثناء والصلاة ، ثم يأخذ فى عدل الامام واوصافه الحسنة الشريفة ، ومقامه المنيف ، ويرغب فيه ، فان كان غير ذلك فقد فيل لأبى يزيد (البسطامى) ،أيعصى العارف؟ فقـــال :

(وكان أمر الله قدرا مقدورا) ٠ (١)

وأوامر الامام ، هى أوامر الارادة الالهية ، وهى تتجلى للقلب عن طريق التوقيعات أو الخواطر ، وهذه التوقيعات هى ؛ توقيعات ربانية ، وتوقيعات ملكية ، وتوقيعات شيطانية ، وسوف نتحدث عن كل نوع فيما يـــلى :

أولا : التوقيعات الربانية :

يذكر ابن عربى خاطرا أو توقيعا ، من الحق سبحانه الى الكاتب ، وهو : « نفذ الأمر المطاع الربانى ، الى الخليفة الانسانى المثبوت فيــه سر الوهيتى ، التردد بين انيتى وهويتى ، وقد أبحت وجهى لمن أراده ، بلا ارادة ، ومزقت الحجب تمزيقا ، لا يقبل ترقيعا ولا تلفيقا ، وفرغت عن القلوب ، فتزينت بمظالم الغيوب ، فاعكف فى حضرتى ساجدا ،

=

العليم الأمين على اللطائف الانسانية التى من أجلها وجد ، انظر التدبيرات الالهية ، ص ٥١ ـ كما يذهب ابن عربى الى أن اللوح المحفوظ هو النفس الناطقة الكلية الثابتة، ولما أوجد الله سبحانه القلم الأعلى ، أوجد له فى المرتبة الثانية هذه النفس التى هى اللوح المحفوظ ، وهى من الملائكة الكرام ، وهو المشار اليه بكل شىء ، فى قو. تعالى (وكتبنا له فى الالواح من كل شىء) ، وهو اللوح المحفوظ ٠ انظر التدبيرا الالهية ، ص ٥٣ ، ٥٤ ٠ ويذهب ابن عربى أيضا الى أن الدواة هى التى يعبر عنها الصوفية « بالنون » ، وهى عبارة عما يحمله فى ذاته من العلوم بطريق الاجمال من غير تفصيل ، فلا يظهر لها تفصيل الا فى اللوح المحفوظ ، راجع التدبيرات الالهية، ص ٥٥ ، ويرى ابن عربى أن هذا الملك الكريم ،الذى هو اللوح المحفوظ ، هو أيضا قلم لما دونه ، وهكذا كل فاعل ومنفعل لوح وقلم ، راجع التدبيرات الالهية ، ص ٥٦ ٠

(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٧٨ ٠

فانك لاتزال مشاهدا ؛ فان الرؤية فى السجود ، والحجاب فى الوقوف ؛ فانى القيوم ، القائم على كل نفس بما كسبت » (١) .

ثانيا : التوقيعات الملكية :

ومن التوقيعات أو الخواطر الملكية ، هذا التوقيع الملكى الذى يذكره ابن عربى ، حيث يقول الله تعالى للكاتب :

نفذ الأمر الحتم الى الملك الكريم ، انزل على قلب الخليفة الانسانى، فانك تجده على أحد ثلاثة أحوال : اما معى ، أو مع نفسه ، أو مع عدوه ابليس ، فان وجدته معى فلا تلق اليه شيئا مما أوقعت لك فى هـــذا التوقيع ؛ فانى أتولاه بنفسى ، لا اكل من توجه الى وآثرنى على كل واحد الى غيرى ، فانى أتولى سياسة قلب عبدى ، فتادب أيهـا الملك الكريم و تشعره بنزولك فيفرق ويبادر اليك ؛ لمعرفته أنك من عندى ، من جهة اسم ما ، فتوار عنه ، واحفظه من نفسه وشيطانه ، وجاهدهما ما استطعت ، فان وجدته مع نفسه فاخطر له محادثة منك فى سره من غير أن يشعر بذلك ، القرين العدو ، ولا النفس أن يافل ، أنفاسك محسوبة عليك ، وأوقاتك عليك شهداء ، فاياك والمباح فتندم ، واياك والمحظور والمكروه فتشقى ، وعليك بالمحجة البيضاء ، وأداء ما أفترض الله عليك ، اذا أردت فعل مباح من المباحات ، من اكل وشرب ونوم ، وغير ذلك ، فلا تتناوله تناول العامة فتندم أو تشقى ، ولكن تناوله بتنزيه وعبادة ، أما التنزيه فان تتناوله برؤية نقصك ، وافتقارك الى الحق فيه ، وتنزيه الحق عن حاجته لذلك ، كما قال تعالى (وهو يطعم ولا يطعم) (٢) ، وقد نبهك وعلمك . واما العبادة : فان تنظر فى ذلك من جهة ما يليق ؛

---

(١) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ، والخواطر عند ابن عربى هى سفراء الله تعالى الى قلب عبده ، لا اقامة لهم فى قلب العبد الا زمان مرورهم عليه ، فيؤدون ما أرسلوا به اليه من غير اقامة ، لان الله خلقهم على صورة رسالة ما أرسلوا به . فكل خاطر ، عينه عين رسالته ، فعندما يقع عليه عين القلب فهمه . فاما يعمل بمقتضى ما اتاه به ، أو لا يعمل . انظر ، الفتوحات المكية ، المجلد الثانى، ص ٥٦٤ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤ .

فتتخذه عونا على عبادتك ، كالأكل للقوة على أداء الصلاة ، والفرائض من جهاد وغيره ، والنوم للقوة على قيام الليل » ٠ (١)

ثالثا : التوقيعات النفسانية :

ويورد ابن عربى توقيعا أو خاطرا نفسانيا ، من الله الى الكاتب : « نفذ الأمر الالهى ، الذى لا يرد ، الى النفس البرزخية ، اخطرى الخليفة الانسانى ان يفعل ما فيه راحته فى الدنيا ، ولا طلب عليه فى الأخرى ، ولا له فيه أجر عندنا ؛ فان أجابك فهو لك ، لا لى ، وان أعرض عنك فهو لى ، لا لك ، أو لمن هو له على حسب وقته ، وانك ستجدينه على احدى ثلاث : امامعى أو مع الملك ، أو مع الشيطان ، فان وجدته معى فتعرضى اليه ؛ فانه يصير فراغك شغلا ، ويرفع حجابك ، وتسعدين به ، وان وجدته مع الملك فتادبى ، وقفى ؛ حتى ينفصل الملك بالنوم أو بالغفلة والسهو ، وحينئذ تخطرين له فى ذلك ، وان وجدته مع الشيطان فزاحميه وحولى بينهما ، واتيه بالملايمة ، ولا يغلبنك عليه ، وامضى فى سلطانك فيه وكيده ، فان كيده ضعيف ، واثبتى على ما جئته به » (٢)٠

رابعا : التوقيعات الشيطانية :

واخيرا ، يذكر ابن عربى مثالا لتوقيع او خاطر شيطانى ، فيقول سبحانه للكاتب : « نفذ الأمر الالهى الى الشيطان (الارادى) لا الأمرى : انزل على الخليفة الانسانى ؛ بتعدى الحدود ، وانتهاك المحارم ، والكفر والشرك ، والبغى ، والحسد ، والفحشاء ، وعبادة غيرى ، فان توقف لك فى أمر ما ، فاعدل عنه الى امر آخر ، ولابد لك أن تجده على احدى ثلاث : اما معى ،اومع الملك ، أو مع النفس ، فان وجدته معى ، فانظر فى أى باب هو ، وفى أى اسم ، وانزله من مملكتك التى ملكتك اياها من عالم الخيال من جنس الحقيقة التى هو معى فيها ؛ حتى ترى عصمتى لأوليائى ، وحفظى لهم ، وغيرتى عليهم كيف هو ، فاذا نزل الى أفعالى وصفاتى فالق له مما فى توقيعك ، فان قبله فهو لك فى ذلك الوقت ثم

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ ٠

(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٢ ٠

يتوب فيجور وزره عليك ، تعذب به فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، وان أشرك فهو لك ، وعذابه عليه وعليك ، وان وجدته مع الملك فحاربه ، فان غلبته ، بقيت أنا ، فان خذلت عبدى ، ملكتك ناصيته ، وان نصرته فامران : اما أن لا يقبل منك ، أو ان قبل ، قلب عينها ، فعاد ما نصبت له بعدا قربة الى ، وجاز كيدك عليك ، فان وجدته مع النفس فزين لها العاجلة ، وابسط لها الأمل ، فان اشتغلت به فالق ، فانه عبد مطيع لك فى الحال ، وأنا معه بين الخذلان والنصرة ، أحكم بعلمى فيه ، وأنا العليم القدير » ٠ (١)

ويذكر لنا ابن عربى كيفية دفع هذه التوقيعات أو الخواطر الشيطانية وذلك عن طريق دوام الذكر الظاهر ، والحضور مع الحق تعالى ومراقبته ، والذكر الباطن ، ولكن اذا استطاع الانسان أن يدفع هذه الخواطر (الشيطانية) بعزيمته واعراضه عنها وعن ما يوجبها ، دفعها بذلك ، فاذا لم يستطع ، فيجب أن يعود الى الذكر بقلبه ٠ واذا قويت الخواطر ، فعلى الانسان أن يجمع بين ذكر الظاهر والباطن معا ، دائما ، أو فى أغلب الأوقات ٠ (٢)

خامسا : العلمين والمسددين اصحاب الجبايا والخراج

وهم : الحواس والخيال والذكر والفكر ، والجوارح ٠

يؤكد ابن عربى على أن الله تعالى سيطالب الخليفة أو الامام بالعدل فى رعيته ، وأن الله سيسأل الرعية عن الخليفة ، ويورد ابن عربى بعض الدلائل النقلية لاثبات ذلك ، يقول تعالى : (أن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسئولا) (٣) ، وقال (حتى اذا ما جاءوها ، شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) (٤) ، وقال : (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم)(٥) وأمثال هذا ٠ (٦)

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٤ ٠
(٢) محيى الدين بن عربى . العجالة ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة عام ١٩٨٧ ، ص ١٩ ٠
(٣) سورة الاسراء آية ٣٦ ٠
(٤) سورة فصلت ، آية ٢٠ ٠
(٥) سورة فصلت آية ٢٢ ٠
(٦) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٥ ٠

فالعين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل ، من عمالك وامنائك من أهل باديتك ، وكل واحد منهم رئيس وخازن على صنف من أصناف المال الذى يجبيه ، ورئيسهم وامامهم ، الحس الذى ترجع هذه الحواس كلها بأعمالها اليه ، وان الحس برئاسته ومملكته مرءوس تحت سلطان الخيال ، والخيال بما فيه من صحة وفساد مرءوس تحت سلطان الذكر ، والذكر مرءوس تحت سلطان الفكر ، والفكر مرءوس تحت سلطان العقل ٠ (١) هكذا يقول ابن عربى للخليفة أو الامام ، وهو يقول له كذلك : والعقل وزيرك ، وانت الرئيس الامام ، المعبر عنه بالروح القدسى ٠ (٢)

ويبين لنا ابن عربى خطوات رفع الجبايات والخراج الى الحق سبحانه ، ووقوف الروح القدسى أو الامام عليها ، فالحواس تأخذ المحسوسات على اختلاف أصنافها ، وتؤديها الى الحس ، صاحب الخراج، فيرفعها فى خزانة الخيال ، فتكسب هنالك اسما من جنس ما رفعت اليه ، وزال عنها اسم المحسوسات ، وانطلق اسم المتخيلات ، ثم يكون الخيال أيضا - صاحب خراج - تحت سلطان الذكر ، فيحفظها ، وينتقل هنالك اسم المتخيلات عنها الى المذكورات والمحفوظات ، ثم يرجع الذكر صاحب خراج تحت سلطان الفكر ، فيعرضها عليه ، ويسبرها ويخلصها ، ويسأل الرعية عنها ، ويفرق بين الحق والباطل فى ذلك ، فان الحس له اغاليط كثيرة ، وينتقل اسم المذكورات عنها الى المتفكرات ، فاذا سبرها ، ورد منها الى الحس ما غلط فيه ، واخذ منها ما صح ، ورحل به الى حضرة العقل ، دخل عليه ، وعرض عليه ما جاء به من العلوم والأعمال مفصلة ، هذا عمل البصر ، وهذا عمل اللسان ، حتى يستوفى جميع ذلك، وينتقل اسمها الى المعقولات ، فيأخذها العقل الذى هو الوزير ، ويأتى بها الى الروح الكلى القدسى ، فتستأذن له النفس الناطقة ، فيدخل ، فيضع جميع المعقولات بين يديه ويقول له : السلام على السيد الكريم والخليفة ، هذا وصل اليك من بادية حضرتك على يدى عمالك ، فيأخذها الروح ، فينطلق الى حضرة القدس ، فيخر ساجدا ، وتلك السجدة قرب وقرع لباب الحق ، حضرة القبول ، فيفتح ، فيرفع راسه فتقع الأعمال

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٥ ٠

(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٦ ٠

من يده ؛ للدهش الذى يحصل له فى ذلك التجلى ، فينادى ، ما جاء بك ؟ فيقول : أعمال فلان ابن فلان ، الذى جعلنى سلطانك خليفة عليه ، قد رفع الى جميع الخراج الذى أمرتنى بقبضه من بادية الحضرة ، فيقول الحق ، قابلوه بالامام المبين ، الذى كتبته قبل أن أخلقه ، فلا يغادر حرفا واحدا ، فيقول (أى الامام المبين) ، ارفعوا زمامه فى عليين فيرفع ، فهذا فى سدرة المنتهى • (١)

ويوضح ابن عربى أنه ان كان فى تلك الأعمال مظالم ، وما لا يليق ،

فلا تفتح لها أبواب السماء ، ومحل وصولها (الفلك الأثير) (٢) ، وهنالك يقع الخطاب كما وقع فى الأول ، ثم يؤمـر بها ، فتودع فى سجين ، قال تعالى (ان كتاب الفجار لفى سجين) (٣) ، وقال (ان كتاب الأبرار لفى عليين) (٤) • فيقول الحق للروح القدسى فى سدرة المنتهى ، ياعبدى : هذه الأعمال رفعتك الينا ، وأحلتك هذا المحل الأسنى، أنظر أخاك وصاحبك دون السماء ، فينظر اليه ، فيعرف منة الله عليه ، فيشتغل بالمنة عن المشـاهدة ؛ فيقول الحق : قد شـغله فضلى عنى ويحتجب • (٥)

ويظهر لنا ابن عربى أن اسم الأعمال ـ عندما وصلت الى الروح ـ ينتقل من المعقولات ، فاطلق عليها (الأرواح) ، فكساها سبحانه لما نظر اليها باحلة البهاء ، واقعدها على منبر الجلال ، ونقل اسمها من الأرواح الى الأسـرار • (٦)

ويوضح لنا ابن عربى معنى قول القائل (تزكوا الأعمال) ، أى تعلو وتنمو ، فتنتقل عليها الأسـماء ؛ بانتقالها ، وهى واحـدة فى ذاتها (٧) • وعلى الجملة : فان ابن عربى يوضح لنا أنه حينما تعلو

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٨ •
(٢) الفلك الأثير عند ابن عربى هو : النار ، انظر ، عقلة المستوفز ، ، ص ٧٩ •
(٣) سورة المطففين آية ٧ •
(٤) سورة المطففين ، آية ١٨ •
(٥) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٩ •
(٦) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٩ •
(٧) التدبيرات الالهية ، ص ١٨٩ •

الاعمال ، وتنقل الى الاســـرار ، يجتمع هناك ، الظاهر والبـــاطن ، والشريعة والحقيقة ، وعمل الجوارح وعمل القلوب (اعنى فى حضرة العقل) ، وأما الاعمال السيئات ، فانها تفترق من الصالحات فى (خزانة الخيال) ، ومن العالم العلوى فى الفلك الاثير . (١)

سادسا : السفراء والرسل الموجهين الى الثائرين بمدينة البدن

يذكر ابن عربى أن رسل الامام وسفرائه الى الهوى ، هم التوفيق والهدى والفكر والاعتبـــار والتدبير والثبات والقصد والحزم والاســتبصار والتذكر والخوف والرجاء والانصاف ، اما رسل العدو ، وهو الهوى فهم : الحرص والكذب والخيانة والغدر والجبن والبخل والجهل والشره والغى والبـــلادة . (٢)

وينصح ابن عربى ، الامام أنه ان قدمت رسل الهوى ، (وهو العدو) ، الذى هو الثائر عليك ، والساعى فى فساد ملكك ، فلا تغلظ ؛ فان اهانة الرسل من عدم السياسة . (٣)

ويضرب ابن عربى مثلا ، يوضح فيه للخليفة أو الامام كيفية اقناع رسل الهوى ، عن طريق الادلة العقلية ، فان كان الحرص من جملة الرسل (رسل الهوى) ، وتكلم ، فانه لا يتكلم الا بحقيقته فيقول لك ان هذا الملك المطاع ، الذى اسمه الهوى ، قد أرسلنا اليك ؛ لتدخل تحت سلطانه ؛ والا فلتاذن بحرب ، وقد امرك بان تحرص على جمع الأموال ، والادخار ، ومخالفة ما جاءت به الشريعة . فتقول له :

أيها الرسول ، مكانتك عندنا عظيمة ، ومنزلتك كريمة ؛ فانه اذا سمع هذا منك ، سر به ؛ فانه لا يسمع مثل هذا من سلطانه (الهوى) ، ولكن ، أيها الرسول ،انظر هذا بعقلك ، وانصف من نفسك ما تقول فى الله ، اهو ربنا ام لا ؟ فيقول : نعم هو ربنا ، فتقول له : هذه الدار التى

---

(١) راجع ، التدبيرات الالهية ، ص ١٨٩ .
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٩٠ .
(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٩٠ .

نحن فيها ،انحن راحلون عنها أم لا ؟ فيقول : بلى راحلون عنها ، فتقول : انتقالنا ورحلتنا الى الله أم الى غيره ؟ فيقول لك ، الى الله ، فتقول : بماذا وصف من خالف شرعه ودينه ؟ فيقول : بالشقاء ، فتقول له ، ومن أطاعه ؟ فيقول : بالسعادة ، فتقول له : وهل يغنى عنك أحد من الله شيئا ، فيقول : لا ، فتقول له : أنت أيها الحرص (رسول هذا الهوى) ، تعلم انى أدعو الى ما فيه مرضاة الله ، هبك تحرص على طلب المال ، هل يصح لك منه الا ما كتب الله لك ؟ ولو لم تحرص ، فيقول :نعم فتقول : حقيقتك باقية أيها الحرص ، ولكن اصرفها الى الطاعات ومرضاة الرب ، واحرص عليها تسعد بها ، ومتاع الدنيا قليل ، ومع قلتها ، فانية ، والدار الآخرة خير وأكبر ، أنت ياحرص هنا ، ما انتقص لك من منزلتك ٠ فيقول : نعم ، فيسلم ، ويتوجه الحرص على طريق العلم والدين ، فيقوى ملكك ويضعف ملك الهوى ٠ (١)

وهكذا يفعل الخليفة أو الامام أو السلطان مع كل رسول من رسل الهوى ، مثل الخيانة والكذب والفجور ، الى آخر هذه الرسل ، حتى يرجعون الى أصولهم ٠ (٢)

ويوضح ابن عربى السبب الذى لأجله وقع الحرب بين الروح والهوى ونشأت الفتن ، وهو طلب الرئاسة على الملك الانسانى ، فاذا صحت الرئاسة لأحدهما عليه ، سعى فى نجّاته واقامته ، وحمى دماره ٠ (٣)

وكذلك الشان فى وقوع الحروب والفتن بين العقل والهوى ، وهو طلب الرئاسة على المملكة الانسانية ، ويرى ابن عربى ان سبب نجاة الروح أو العقل من كل أمر مهلك ، هو طاعته لأمر داع من خارج يقال له (الشارع) ٠ (٤)

---

(١) راجع ، التدبيرات الالهية ، ص ١٩١ ٠
(٢) التدبيرات الالهية ، ص ١٩١ ٠
(٣) التدبيرات الالهية ، ص ١٤٢ ٠
(٤) التدبيرات الالهية ، ص ١٤٣ ٠

ويؤكد ابن عربى على انه لو نظـر كل من الـروح والهوى الى الشارع ، وقال : وجدت داعيـا من خارج ، الذى هو الشـارع ، ثبت صدقه وعصمته ، فما قال فيه النجاة فهو ذلك ، وما قال فيه الهلاك فهو ذلك ؛ لوقع التسليم والانقياد ، وارتفعت الفتن . (١)

سابعا : القواد والأجناد فى الانسان

يوضح ابن عربى للخليفة او الامام ان الملك كالبيت ، فلابد له من من اربعة اركان تمسكه ، وان هذه الأركان هى الأوصاف المحمودة والخلق الرفيعة فى الانسان ، ويوصى الخليفة ان يختار اربعة أوصاف محمودة يجعلها اجناده وقواده ، وما بقى من هذه الصفات والأخلاق الحميدة ، فتحت أمر هؤلاء الأربعة . (٢)

ويوضح ابن عربى للخليفة أو الامام أن ينظر فى الجهات الأربع التى يدخل عليه الفساد منها ، ويجعل على كل جهة منها واحدا مـن هؤلاء الأربعة باتباعهم وأجنادهم ، وهم يحمون الملك ، وبذلك يعيش آمنـــا .

ويحذر ابن عربى الخليفة من غدر العدو وخيانته ، وعلى الخليفة أن يجعل المراقبة نصب عينيه ، فهو يقول للخليفة :

« مهما جاءك العدو من اى ناحية جاء ، وجد من يمنعه مـــن الوصول الى مراده فيك ، فلتجعل الخوف عن يمينك ، والرجاء عـن شمالك والعلم بين يديك ، والتفكر من خلفك . (٣)

ويذكر ابن عربى للخليفة انه اذا جاء العدو من قبل اليمين انما ياتى بالشهوات واللذات فيزينها له ، ويحببها اليه ، فيعرض له الخوف ،

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٤٣ .
(٢) راجع ، التدبيرات الالهية ، ص ١٩٢ .
(٣) راجع ، التدبيرات الالهية ، ص ١٩٤ .

فيـدراه عنها ، ولولا الخـــوف لوقع فى الشـــهوات ، وبوقوعه يكون الهـــلاك ٠ (١)

ويرى ابن عربى أن الخوف للانسان كالعدة للجندى ، فلا ياخذ هذا الخوف الذى هو العدة ، الا عند مباشرة العدو ، أو لتوقى نزوله٠(٢)

وان جاء العدو من جهة الشمال ، فانه ياتى بالقنوط والياس وسوء الظن بالله ، وغلبة المقت ؛ ليوقع بالانسان ، فيهلك ؛ فيقوم له الرجاء بحسن الظن بالله عز وجل ، فيدفع العدو ويقمعه (٣) ٠ وأما ان جاء العدو من بين يديك ، أتاك بظاهر القول ، وهذا يؤدى الى التجسيم والتشبيه ، فيقوم لك العلم ، فيمنعه أن يصل اليك بهذا ٠ (٤)

وكذلك اذا أتاك (العدو) من خلفك ، أتاك بشبه وأمور من جهة الخيالات الفاسدة ، فيقوم التفكر فيدفعه ؛ فانك ان لم تتفكر وتبحث ؛ حتى تعثر على أن تلك الأشياء شبهات ؛ والا هلك ملكك ، ولا سبيل للعدو فى قتال هذه المدينة التى هى سـلطانك الا من هذه الأربـــع جهـــات ٠ (٥)

واذا أراد الخليفة أو الامام أن يزيد على هذه الجهات ، فلا يزد على العشرة ؛ من أجل حفظ العقائد ، فان الحدود عشرة ، التى هى راس تنزيه الحق ، وهى أمام وخلف ويمين وشمال وفوق وتحت وقبل وبعد وكل وبعض ، فمن نزه ربه عن هذه الحدود التى مدار السلامة عليها ، وبقاء الملك فى دار البقاء ؛ فقد تنزه ونال السعادة الأبديـــة

---

(١) التدبيرات الالهية ، ص ١٩٤ ٠
(٢) راجع ، التدبيرات الالهية ، ص ١٩٤ ٠
(٣) راجع ، التدبيرات الالهية ، ص ١٩٥ ٠
(٤) التدبيرات الالهية ، ص ١٩٥ ٠
(٥) راجع التدبيرات الالهية ، ص ١٩٥ ٠

وعلى الخليفة أو الامام ان يجعـــل تحت أيدى هؤلاء القواد من الأجناد ما يحتاج اليه ، ويخصه بحد ما ، من هذه الحدود ، لكل حد أمير بأصحابه ، يقف عنده بنقبائهم وعرفائهم ؛ فإذا جاء العدو ، سهل على الخليفة ، (الروح القدسى) المرام ، ونظر من أى ناحية وصل ، فيدعو بالأمير ، الذى فى تلك الناحية ، ويأمره بالبروز . (١)

---

(١) راجع ، التدبيرات الالهية ، ص ١٩٥ .

خــــاتمة

خـــــاتمة

رأينا أن نقدم فى ختام دراستنا هذه ، خاتمة تلخص أهم النتائج التى توصلنا اليهـــا :

١ ـ فالامام فى اللغة العربية : يعنى الخليفة ، أو العالم المقتدى به ،أما الخليفة : فهو الذى يستخلفه الله على عباده ، وقد يكون فاعلا ؛ لأنه خلف من قبله وجاء بعده ، ويجوم أن يكون مفعولا ؛ لأن الله تعالى جعله خليفة ، وجاء به بعد غيره ٠

٢ ـ أما عن معنى الامامة أو الخلافة عند ابن عربى ، فقد اتخذ هذا المصطلح مدلولا خاصا ، فيرى ابن عربى أن الامامة هى المنزلة التى يكون صاحبها متبوعا ، وحكمه نافذ فى أمته ، وهذا الامام يصح له التقدم والسبق ، ويستخدم صوفينا كلمة الخليفة ، للدلالة على الانسان الكامل ، وهو كل ما سوى الله ٠ وكل ما سوى الله يسبح بحمده ويسجد له ، ولكن لم يجعل لأحد منهم أمرا فى العالم ولا نهيا ولا خلافة ، وجعل ذلك للانسان الكامل ٠

٣ ـ ويستخدم ابن عربى كلمة ، الانسان الكامل بمعنى فلسـفى خاص ؛ اذ الكمال عنده هو الوجود بأوسع معانيه ، والكامل هو ماتحققت فيه معانى الوجود وصفاته سواء كانت خيرا ، أو شرا ٠

ويطبق ابن عربى مذهبه فى وحدة الوجود على مصطلح الانسان الكامل ، فالانسان الكامل ـ فيما يرى ـ هو الانسان الكلى على الاطلاق، والحقيقة ، اذ هو القابل لجميع الموجودات قديمها وحديثها ٠ كما يرى أن الانسان الكامل ذو نسبتين كاملتين : نسبة يدخل بها الى الحضرة الالهية ، ونسبة يدخل بها الى الحضرة الكونية ، فيقال فيه انه عبد ؛ من حيث أنه مكلف ، ويقال فيه انه رب ، من حيث انه خليفة ٠

٤ ـ ويفرق ابن عربى بين من يسميهم (الخلفاء عن الله) ، أو خلافة التشريع ، وهم الأنبياء الذين يأخذون علومهم بالشرع ، عن الله

مباشرة ، وبين من يصفهم (بالخلفاء عن الرسل) ، وهم الأولياء الذين يأخذون علمهم بالشرع عن رسول صاحب شريعة ، ويعتقد ابن عربى أن خلافة التشريع قد انتهت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، أما الخلافة العامة ، فتنتهى بختم الأولياء ٠

٥ ـ ونحن نجد أن الخلافة عند ابن عربى نوعان : خلافة روحية أو باطنة ، وخلافة حكم أو ظاهرة ، وكلا الخلافتين فيه تمثيل لله تعالى، ونيابة عنه فى الأرض ٠ ويفرق ابن عربى بين الخليفة الباطن والخليفة الظاهر ، فالخليفة الباطن يستمد علمه من الله مباشرة ، فى حين أن الخليفة الظاهر يستمد علمه من الرسول ، والخليفة الباطن خليفة الله على الحقيقة ، أما الظاهر فهو خليفة الله ؛ من حيث هو حليفة رسول الله ٠ وقد يوجد من الخلفاء الباطنيين اكثر من خليفة قى وقت واحد ، أما الخليفة الظاهر ، فقد يوجد من الخلفاء الباطنيين اكثر من خليفة فى وقت واحد ، وأما الخليفة الظاهر فيستحيل وجود أكثر من خليفة فى وقت واحد ٠

٦ ـ وهناك خلافة أو امامة ، صغرى واصغر ، وكبرى واكبر : فالخلافة الأكبر : هى الامامة على العالم ، والخلافة أو الامامة الأصغر ، هى امامة الانسان على نفسه وجوارحه ، وهناك امامة بينهما ، وهى امامة الانسان على أهله وأولاده ، وتلاميذه ٠ ويضرب ابن عربى أمثلة لأنواع من الأئمة فى العالم : فامام الأئمة هو الله تعالى ، وهناك امام الصلاة ، وكذلك القاضى ، وقائد الجنود ، وكل امام من هذه الأئمة تحت فهر امام الأئمة ، وهو الله تعالى ، هذا عن الأئمة فى العالم ٠ أما الأئمة فى العالم ٠ أما الأئمة داخل الانسان ، فهى الروح القدسى ، والفكر ، والعقل ، والتصور ، والخيال ، والوهم ، والحواس الخمس ، والجوارح ، وامام الأئمة لهؤلاء الأمة داخل الانسان هو الروح القدسى أو الروح الكلى ٠

٧ ـ ونحن نجد أن الامامة أو الخلافة عند ابن عربى ضرورة أساسية فكل ملك لا يكون فيه خليفة أو امام فانه يهلك ويفسد ٠

ونصيب الامام واجب عنده ؛ لاقامة الدين ، ولازالة التشاجر

والاختصام بين الناس ، وكذلك لأن الاجتماع الانسانى يقتضى قيــام حاكم عادل ، فالامامة اذن ضرورية من الناحية الاجتماعية ٠

٨ ـ وعلى الامام واجبات ينبغى أن يؤديها ، ومنها : النظــــر فى أحوال رعاياه ، والبعد عن اللذات والشهوات الدنيوية ، والمحافظة على الشــريعة ، وطبيق مبدأ الشــورى على رعيته ، والتحبب الى الرعية ، ومراقبة أحوالهم ، والنظر فى عاقبة الأمور ، وتنزيه النفس عن الدنيـــــا ٠

وللامام حقوق على الرعية أن يتمسكوا بها ، ومنها : الطاعة والانقياد للامام أو الخليفـــة ٠

٩ ـ والأصل فى الخلافة أو الامامة عند ابن عربى ، واحدية الامام أو الخليفة ، فلا يجوز أن يقوم على ولاية أمر الأمة امامان فى وقت واحد؛ لأنه لا يصح عقلا ولا شــرعا ، تدبير ملك بيــن امامين ، قد يكونان متناقضين فى أحكامهما ٠

١٠ ـ ويجب أن تتوافر فى الامام أو الخليفة شروط ، يجعلها ابن عربى عشرة ، وهى : البلوغ ، والعقل ، والحرية ، والذكورة ، ونسب قريش، وسلامة حاستى السمع والبصر ، والنجدة ، والكفاية ، والعلم ، والورع٠

١١ ـ وللخليفة أو امام صفات يجب أن يتحلى ويتخلق بها ، وهى :

(أ) الحكمة : فلا يضع شيئا فى غير موضعه ، ولا يبرز شيئا الا فى وقته المعهود عندهم ٠

(ب) الرحمة : ويقصد ابن عربى ، الرحمة التى تصحبها العزة والسلطان ، ولا تصحبها الشفقة ، وهى الرحمة الموضوعة من الله للانسان٠

(جـ) معرفة قدر النفس ٠

(د) ويرى ابن عربى أن العدل أو الظلم لا يقعان الا من أئمـــــة الظاهر ، أما أئمة الباطن فيتمسكون بالعدل دائما ٠

١٢ ـ وتثبت الامامة أو الخلافة بالبيعة ، والبيعة فيما يرى ابن

عربى ، اختيار وعقد من أهل الحل والعقد والمحافظين على الشرع ، والمدافعين عن مصالح الناس ، وينبغى أن يبايع على الامامة من كانت فيه شروطها ، كما يجب أن يبايع الامام أو الخليفة على قدر عزمه فى مجاهدة نفسه ، ومبلغ علمه وما وصل اليه فهمه من المعرفة بالله ، والعلم بامة الأمـــة .

١٣ ـ ويستقى الخليفة أو الامام أحكامه من كتابين :

الأول : هــو الكتاب المحفوظ فى قلوبنــا ، المقروء بالســنتنا ، اما الثانى : فيسمى بالكتاب المبين ، والامام المبين ، واللوح المحفوظ ، والعقل الأول . فالله تعالى يحكم على الانسان بما شاء ، وقد كتب للخلفاء كتبا للحدود والشرائع ، نزلت بها السفراء عليهم ؛ ليعلموا عن طريقها حدود ما انزل الله فيقفوا عندها .

١٤ ـ والخليفة أو الامام يحكم بغلبة ظنه ، أما حكم الله تعالى فبسابق علمه ؛ لأن الخليفة أو الامام ليست له مرتبة العلم بما يجرى فى ملكه ، وانما هو يحكم بحسب ما تقول البينة . واذا خالف الامام أو الخليفة أوامر الشريعة ، وشارك رعيته فيما هم عليه من فنون اللذات ، ونيل الشهوات ، ولم ينظر فى أحوال رعيته ، وجب على أهل الحــل والعقد عزله وخلعه من الحكم ؛ فاذا لم يمتثل لأمرهم ، وعاند فى أمر العزل أو الخلع ، فانه يحكم عليه بالقتل .

١٥ ـ ويتكون نظام الحكم فيما يرى ابن عربى من :

الخليفة أو الامام ، والوزير ، والقاضى ، والكاتب ، والمســددين أو العاملين من أصحاب الجبايات والخراج ، والسفراء والرسل الموجهين الى الثائرين ، والقواد والأجنـــاد .

والخليفة يأتى على رأس الدولة ، وقد عبر عنه بعض الصوفية بعبارات مختلفة ، فمنهم من عبر عنه بالامام المبين ، ومنهم من عبر عنه بالعرش ، ومنهم من عبر عنه بمرآة الحق ، والمعلم الأول ، والمادة الأولى ، ومركز دائرة الكون .

ويوضح ابن عربى أنه لا يستقيم أمر الخليفة أو الامام فى ملكه الا بوزير ، يدبر أمر الخليفة والمملكة ٠

والقاضى فيما يرى ابن عربى هو الميزان الموضوع فى الأرض ، وبه يكون الفصل بين العباد يوم القيامة ٠

أما الكاتب ، فقد اصطنعه الخليفة أو الامام لنفسه ، ويجب ان يكون حسن الخلق ، صبورا ، يتحمل الأذى ، ويكتم الأسرار وأن يكون صريحا ، بليغا ٠ واللوح هو مكان الكتابة ، أو هو الكتاب ، وينقسم الى نوعين : مسطور ، ومرقوم ، فالمسطور فى عالم الأرواح ، والمرقوم فى عالم الغيب والشهادة ٠

ويوصى ابن عربى ، الامام باتخاذ العاملين والمسددين من أصحاب الجبايات والخراج ؛ لاستخراج الجبايات من ايدى الرعية بالعدل والسياسة ٠

والقواد والجنود ، يدافعون عن الملك والوطن ضد الأعداء فلا يجب على الخليفة أو الامام ان يباشر الحروب بنفسه ؛ لأنه ان هلك ، تحطم ملكه ٠

أما السفراء والرسل الى الأعداء ، فيجب ان يكون صاحب ذكاء وشجاعة وصدق وأمانة وعلم ؛ لأن الرسول دليل على مرسله ٠

١٦ - ويقابل ابن عربى بين نظام الحكم فى الدولة ، والانسان ، ولكن بنفس الترتيب لأجهزة الحكم فى الدولة :

فالخليفة أو الامام : هو « الروح الكلى » فى الانسان ، والبدن هو الدولة ، وهذه الروح هى المرآة التى بها ننظر الى الموجودات ، وفيها ظهرت الأسماء والصفات الالهية ، وهى الدليل على الله تعالى ٠

أما مدينة الخليفة ، والتى يسكنها الرعية ، فهى البدن أو جسم الانسان ، أما مكان الخليفة أو الامام فهو (القلب) ، أما الدماغ فهو المتنزه الخاص بالخليفة ٠

والوزير بالنسبة للانسان هو العقل ، فهو يلجأ اليه فى جميع الأشياء ، والخليفة أو الامام يجعله لسانه ، وهو المنفذ لأوامره . واذا هلك العقل وفسد مكانه – وهو الدماغ – فان الجسم يفسد ويهلك ، ولا تستطيع الروح اصلاحها .

ويذر ابن عربى الامام أو الخليفة من الوهم ، فانه يجعل النفس تظهر على صورة العقل ، وهذا الوهم يستولى على الناس ، ويبعث على الأفكار الرديئة .

والفراسة هى علم الوزير الذى هو العقل ، وهو مكان اطلاعه على الخواطر الممكنة ، والأمور الغيبية ، والفراسة هى نور من انوار الله ، يهدى به عباده ، وغاية ما تعطى الفراسة من العلوم ، العلم بالأخلاق المحمودة ومقارنتها بالأخلاق المذمومة ، والفراسة تنقسم الى نوعين هما : الفراسة الحكمية ، والفراسة الشرعية .

١٧ – أما قاضى الدولة ، والقائم بأحكامها ، والذى ينفذ قضاياها ، فهو صفة (العدل) فى الانسان ، ويجب أن يكون العدل حاكما على النفس والأهل والأصحاب والعبيد . ولابد للقاضى وللخليفة كذلك من كاتب ، وهو (اليمين بالنسبة للانسان ، واذا أراد الخليفة أو الامام أن يظهر امرا من عالم الغيب الى عالم الشهادة ، فان هذا الأمر يتجلى للقلب ، فيشرح الصدر ، ويكتب فيه أمر الامام ومراده ؛ لأن القلب هو مرآة العقل ، فيرى العقل فى مرآته ما لم يكن رآه من قبل ، فيعرف أنه أمر الامام ومراده ، فيستدعى الكاتب ويقول له : أكتب فى النفس (كذا وكذا) ، فاذا حصل ذلك فى النفس ، خرج على الجوارح .

واليمين التى تكتب تحتاج الى قلم ودواة ، واستمداد ، ولوح يقع فيه الخط .

وأوامر الامام هى اوامر الارادة الالهية ، وهى تتجلى للقلب عن طريق الخواطر أو التوقيعات ، ولها أنواع : ربانية ، وملكية وشيطانية ونفسية .

١٨ ـ واما اصحاب الجبايات والخراج فى جسم الانسان ، فهم : الحواس ، والخيال ، والذكر ، والفكر ، والجوارح . فالعين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل ، من الأمناء القائمين على الخراج والجبايات ، وكل واحد منهم على صنف من أصناف المال ، والحس امامهم ، وهو أيضا مءوس للخيال ، والخيال مرءوس للذكر ، والذكر مرءوس للفكر ، والفكر مرءوس للعقل .

١٩ ـ وقد أوضح لنا ابن عربى حركة العبد فى الطاعات والسيئات من الأعمال ، فهو يبين لنا أنه حينما تعلو الأعمال وتنقل الى الأسرار ، يجتمع هناك أيضا الظاهر والباطن ، والشريعة والحقيقة ، وعمل الجوارح وعمل القلوب ، فى حضرة العقل ، أما السيئات من الأعمال ، فانها تفترق عن الصالحات من الأعمال ، فى خزانة الخيال ، ومن العالم العلوى فى الفلك الأثير (وهو النار) .

٢٠ ـ ويذكر ابن عربى أن رسل الخليفة أو الامام وسفرائه الى الثائرين فى الدولة ـ وهم فى رأيه (الهوى) ، ورسل الخليفة هم : التوفيق والهدى ، والفكر والاعتبار ، والتدبر ، والثبات ، والقصد ، والحزم ، والاستبصار ، والتذكر ، والخوف ، والرجاء والانصاف . اما رسل الهوى ، فهم : الحرص والكذب ، والخيانة ، والغدر ، والجبن ، والبخل ، واتباع اللين ، وعدم اهانة رسل الهوى اذا قدموا اليه ؛ لأن اهانتهم من عدم السياسة .

٢١ ـ أما القواد والأجناد ، داخل الانسان ، فهم الأخلاق الحميدة ، ويوصى ابن عربى ، الامام ، أن يختار أربعة أوصاف أو أخلاق حميدة يجعلها قواده وأجناده ، وأما الباقى من هذه الصفات والأخلاق الحميدة ، فتحت أمر هؤلاء هذه الصفات الأربعة ، ولما كان من صفات العدو ، الغدر والخيانة ، فان ابن عربى ينصح الامام بأن يجعل على كل جهة من الجهات الأربعة صفة من الصفات الأربعة وهى الخوف والرجاء والعلم والتفكز ، فاذا جاء العدو من اليمين ، فانه ياتى بالشهوات والملذات ويزينها للناس ، فيعرض له الخوف ، الذى هو كالسلاح بالنسبة للجندى ، وبذلك يبعد هذا الملذات والشهوات عنه . وان جاء العدو من جهة

الشمال ، فانه يأتى باليأس وسوء الظن بالله ، فيعرض له الرجاء ، فيتحول اليأس الى سعادة ، وسوء الظن يتحول الى حسن الظـن . وكذلك اذا جاء العدو من الخلف ، يأتى بالشبهات والأمور الفاسدة من جهة الخيال ، فيدفعه الفكر . واذا جاء العدو من الأمام ، فانه يأتى بظاهــر القول ، وهذا يؤدى الى التشبيه والتجسيم لله تعالى ، فيأتى العلم فيدفع هذا التشبيه والتجسيم لعدم وصوله الى الانسان . وعلى الخليفة أو الامام أن يجعل تحت أمر هؤلاء القواد الأربعة ، من الأجناد ما يحتاج اليه ؛ لمساعدته فى دفع العدو .

ثبــت المراجــــع

أولا : المراجع العربية

ثانيا : المراجع الأجنبية

أولا : المراجع فى اللغة العربية :

١ – ابن تيمية (تقى الدين) : رسالة عرش الرحمن ، بمجموعة الرسائل والمسائل ، مطبعة لجنة التراث العربى ، القاهرة ، عام ١٣٤٩هـ .

٢ – ابن عربى (محيى الدين) : اصطلاحات الصوفية الواردة فى الفتوحات المكية ، بآخر التعريفات للجرجانى ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، عام ١٩٣٨هـ .

٣ – ابن عربى (محيى الدين) : انشاء الدوائر ، مطبعة بريل ، ليدن ، عام ١٣٣٦هـ .

٤ – ابن عربى (محيى الدين) : الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من أسرار ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة ، عام ١٩٨٦م .

٥ – ابن عربى (محيى الدين) : تحفة السفرة الى حضرة البررة ، اسنانبول عام ١٣٠٠هـ .

٦ – ابن عربى (محيى الدين) : التدبيرات الالهية ، مطبعة بريل ، ليدن ، عام ١٣٣٦هـ .

٧ – ابن عربى (محيى الدين) : التنزلات الليلية ، مطبعة عالم الفكر ، القاهرة ، عام ١٩٨٧م .

٨ – ابن عربى (محيى الدين) : الحكم الحاتمية ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة ، عام ١٩٨٧م .

٩ – ابن عربى (محيى الدين) : ذخائر الأعلاق فى شرح ترجمان الأشواق ، القاهرة ، عام ١٩٦٨م .

١٠ – ابن عربى (محيى الدين) : الرسالة الوجودية ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

١١ – ابن عربى (محيى الدين) : روح القدس فى مدارج معرفة النفس مكتبة عالم الفكر ، القاهرة ، عام ١٩٠٧م .

١٢ ـ ابن عربى (محيى الدين) : شجرة الكون ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة عام ١٩٦٨م ٠

١٣ ـ ابن عربى (محيى الدين) : العبادلة ، القاهرة عام ١٩٦٩م ٠

١٤ ـ ابن عربى (محيى الدين) : العجالة ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة عام ١٩٨٧م ٠

١٥ ـ ابن عربى (محيى الدين) : عقلة المستوفز ، مطبعة بريل ، ليدن ، عام ١٣٣٩هـ ٠

١٦ ـ ابن عربى (محيى الدين) : عنقاء مغرب ، القاهرة ، بدون تاريخ ٠

١٧ ـ ابن عربى (محيى الدين) : الفتوحات المكية ، دار احياء الكتب العربية الكبرى ، القاهرة عام ١٣٢٩هـ ٠

١٨ ـ ابن عربى (محيى الدين) : فصوص الحكم ، والتعليقات عليه للدكتور أبو العلا عفيفى ، القاهرة عام ١٣٨٦هـ ٠

١٩ ـ ابن عربى (محيى الدين) : مواقع النجوم ، القاهرة عام ١٩٦٥م٠

٢٠ ـ ابن القيم : مدارج السالكين ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة عام ١٣٧٥هـ ٠

٢١ ـ أبو العلا عفيفى (الأستاذ الدكتور) : التصوف ، الثورة الروحية فى الاسلام ، دار المعارف ، الاسكندرية عام ١٩٦٣م ٠

٢٢ ـ أبو العلا عفيفى (الأستاذ الدكتور) : تعليق على مادة ابن عربى بدائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ٠

٢٣ ـ أبو العلا عفيفى (الأستاذ الدكتور) : الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، دار احياء الكتب العربية الكبرى ، القاهرة عام ١٩٤٥م ٠

٢٤ ـ أبو العلا عفيفى (الأستاذ الدكتور) : من أين استقى محيى الدين بن عربى فلسفته ، بحث بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، عام ١٩٣٣م ٠

٢٥ ـ أبو العلا عفيفى (الأستاذ الدكتور) : نظريات الاسلاميين فى

الكلمة ، بحث نشر بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الثانى ، الجزء الأول ، عام ١٩٣٤م ٠

٢٦ ـ أبو النصر السراج الطوسى : اللمع ، بغداد عام ١٣١٠هـ ٠

٢٧ ـ أبو الوفا التفتازانى (الأستاذ الدكتور) : الطريقة الأكبرية ، بحث نشر بالكتاب التذكارى لابن عربى ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، القاهرة عام ١٩٦٩م ٠

٢٨ ـ أبو الوفا التفتازانى (الأستاذ الدكتور) : علم الكلام وبعض مشكلاته ، مطبعة القاهرة الحديثة ، القاهرة عام ١٩٦٦م ٠

٢٩ ـ أحمد ضياء الدين الكمشخانوى : جامع الأصول ، مطبعة الجمالية، القاهـــرة عام ١٣٢٨هـ ٠

٣٠ ـ آسين بلاسيوس : ابن عربى ، حياته ومذهبه ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، بيروت عام ١٩٧٩م ٠

٣١ ـ التهانوى (محمد على الفاروقى) : كشاف اصطلاحات الفنون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، عام١٩٧٢م ٠

٣٢ ـ الجرجانى : التعريفات ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة عـــام ١٩٣٨م ٠

٣٣ ـ الجيلى (عبد الكريم) : الانسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل ، القاهرة عام ١٩٦٣م ٠

٣٤ ـ القاشانى : شرح فصوص الحكم لابن عربى ، القاهرة عام ١٩٥٥م٠

٣٥ ـ القشيرى (عبد الكريم بن هوازن) : الرسالة القشيرية ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة عام ١٩٧٠م ٠

٣٦ ـ الكلاباذى : التعرف لمذهب أهل التصوف ، القاهرة عام ١٩٦٩م٠

٣٧ ـ كمال الدين عبد الرازق القاشانى : اصطلاحات الصوفية ، القاهرة عـــام ١٩٨١م ٠

٣٨ ـ محمد رجب حلمى ، البرهان الأزهر فى مناقب الشيخ الأكبر ، القاهرة عام ١٣٢٦هـ ٠

٣٩ – محمد اسماعيل ابراهيم : قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية ، دار الفكر العربى ، القاهرة عام ١٩٦١م ٠

٤٠ – محيى الدين عبد الحميد طاهر (الدكتـور) : الولاية عنـد محيى الدين بن عربى ، مكتبة الانجلو المصـرية ، القاهـرة عـام ١٩٩٠م ٠

٤١ – نيكلسون (رينولد الن) : فى التصوف الاسـلامى وتاريخه ، ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى ، القاهرة عام ١٩٦٩م ٠

ثانيا : المراجـع الأجنبية :

1) Afifi (A.) : The Mystical Philosophy of Muhyddin Ibnul Araby; Cambridge; 1939.

2) Nicholson (R.A.) : The Mystics of Islam; London; 1906.

3) Trimingham (S.) : The Sufi Orders in Islam; London; 1971.

4) Underhill (E.) : Mysticism; A Study in The Nature and Development of Man's Spritual Consciousness; London; 1949.

فهـرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

رابعاً
شروط وصفات الإمام أو الخليفة
٤٥- ٥٦

خامساً
ثبوت الإمامة أو الخلافة
٥٧-٦٤

سادساً
مقارنة بين نظام الحكم
(أ) نظام الحكم فى الدولة
٦٥-٧٨

الصفحة

الموضوع